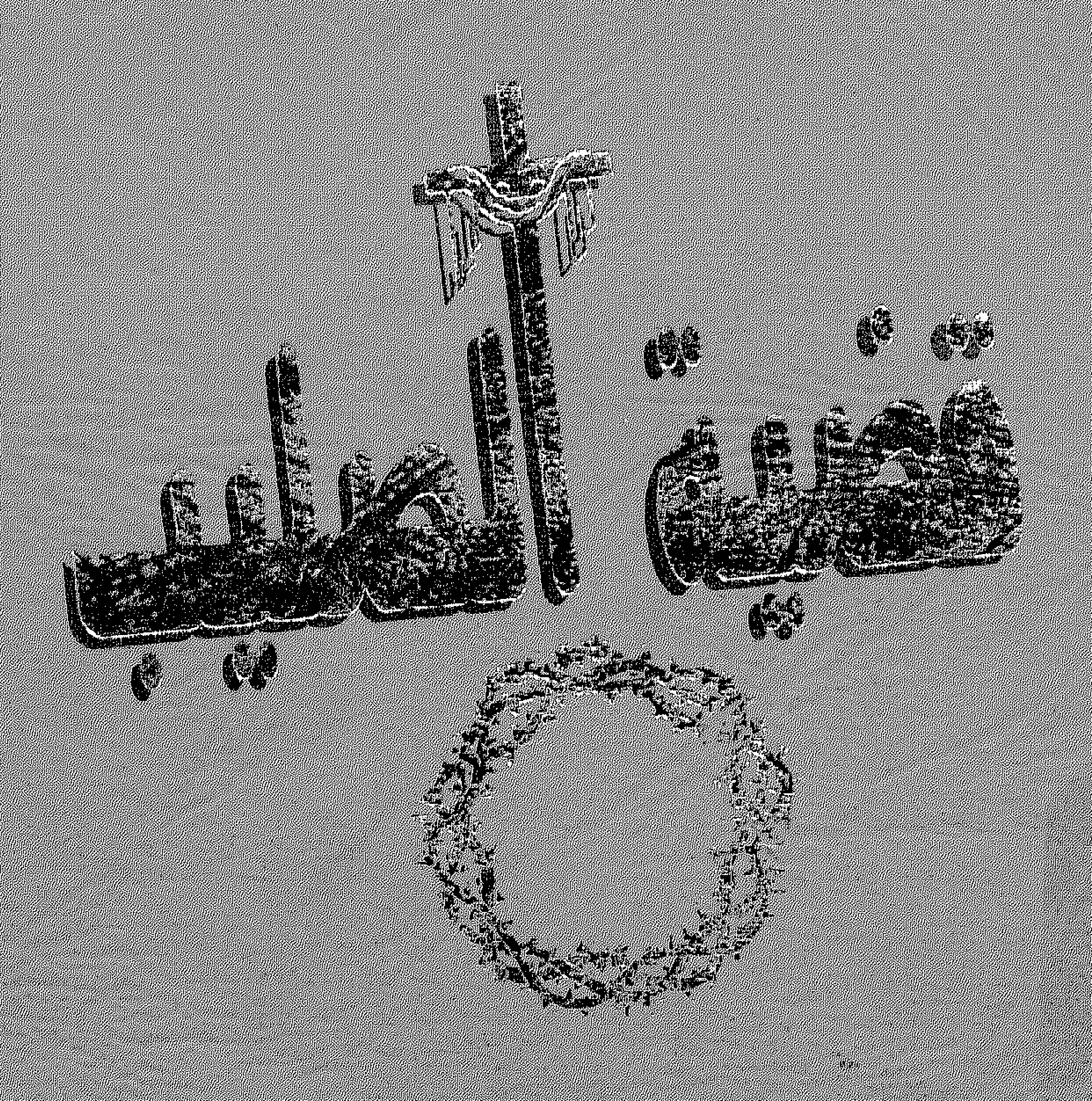


بقلم

د. القس/ لبيب ميخائيل

لوجوس

قضية الصليب

بقلم

الدكتور القس لبيب ميخائيل

الطبعة الثالثة

١٩٩٣

مقدمة

قضية صلب المسيح كانت ومازالت موضوع تساؤل وحوار.. وهذا الكتاب يعالج هذه القضية من الناحية القانونية ويضعها فى إطارها التاريخى منذ مأساة سقوط الإنسان .

فهو يسير بالقارئ خطوة خطوة مناقشاً بمنطق واضح قضية الصليب.

لقد بدأ الكاتب بمأساة سقوط الإنسان... هذه المأساة التى كان من نتائجها كل ما نراه من خراب أخلاقى ، وأدبى، واجتماعى، واقتصادى، وسياسى، فى حياة البشرية بكل ألوانها وأجناسها ولغاتها.. فالبشرية كلها انحدرت من آدم وحواء... وقد تلوث نبع النهر بالإثم والعصيان وتلوثت مياه النهر كلها تبعاً لذلك.

إن كتاب «قضية الصليب» يخاطب العقل والقلب معاً... وهدف الكاتب هو أن يؤكد للقارئ الحقائق التى يجب أن يعرفها بخصوص الصليب وشخصية المصلوب.

والكاتب يأخذك فى رحلة ترى فيها رموز ونبوات العهد القديم التى تحدثت عن حقيقة صلب المسيح قبل أن يُصلب بمئات السنين .

ويصل بك الكاتب فى ختام الكتاب إلى النقطة المركزية ليجيب على السؤال «من الذى صُلب على الصليب؟»... وسترى بنفسك أن كل الأدلة القانونية تؤكد بما لا يدع مجالاً للشك أن الذى صُلب على الصليب كان هو المسيح عيسى بن مريم.. ولا سواه.. وسترى أنك إذا قبلت المسيح فادياً ومخلصاً لنفسك فسيرفع عنك حمل خطاياك، ويعالج كل إحساس بالذنب فى داخلك، ويطلقك حراً من سلطان الشيطان فيمتلئ قلبك بالشكر والحمد لله... وتفهم ما قاله بولس الرسول فى كلماته «شاكرين الآب الذى أهلنا لشركة ميراث القديسين فى النور الذى أنقذنا من سلطان الظلمة ونقلنا إلى ملكوت ابن محبته الذى لنا فيه الفداء بدمه غفران الخطايا» (كولوسى ١: ١٢ - ١٤).

وصلاتنا أن يلمس الله بنعمته قلب كل من يقرأ هذا الكتاب ليقوده إلى النور الحقيقى ويخرجه من ظلمات الجهل والظلام.

ولإلهنا المبارك كل مجد وسجود وحمد.

لوجوس



الفصل الأول

مأساة سقوط الإنسان

لابد لنا ونحن نبحث قضية الصليب ، أن ندرس أولاً قصة الإنسان ، ذلك لأن بين الإنسان والصليب علاقة متينة ، وصلة قوية واضحة .

الإنسان في جنة عدن :

وضع الله العظيم الحكيم تصميماً رائعاً جميلاً للجنة الأولى التى عاش فيها الإنسان ، ونفذ بقدرته ومحبته هذا التصميم ، ونحن نقرأ وصفاً موجزاً لهذه الجنة سجله كاتب سفر التكوين فى هذه الكلمات ، وغرس الرب الإله جنة فى عدن شرقاً ... وأنبت الرب الإله من الأرض كل شجرة شهية للنظر وجيدة للأكل. وشجرة الحياة فى وسط الجنة وشجرة معرفة الخير والشر وكان نهر يخرج من عدن ليسقى الجنة ، تك ٢ : ٨ - ١٠ .

هكذا رتب الله بيت الإنسان ، بعد أن أضاء له السماء بالنجوم اللوامع ، وفرش له الأرض بالبسط السندسية الخضراء ،

وأوجد الحياة النباتية والحيوانية ، لغذاء ومتعة هذا المخلوق العتيد!!

والآن ! نستطيع أن نتخيل اللحظة الحاسمة ، ساعة أن جبل الرب الإله آدم تراباً من الأرض ، ونفخ في أنفه نسمة حياة فصار آدم نفسا حية .

ويخطر ببالنا السؤال : في أية صورة عمل الله الإنسان ؟ ويجيبنا كاتب سفر التكوين بالقول « وقال الله نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا ... فخلق الله الإنسان على صورته على صورة الله خلقه » تك ١ : ٢٦ ، ٢٧ ، ومعنى هذا في عبارة واضحة أن الإنسان قد خُلق على صورة المسيح « الذى هو صورة الله غير المنظور » كولوسى ١ : ١٥ . كما يقول يوحنا في غرة انجيله «في البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله وكان الكلمة الله... كل شئ به كان وبغيره لم يكن شئ مما كان » يو ١ : ١ ، ٣ . وكما يؤكد بولس قائلاً « فإنه فيه خلق الكل ما في السموات وما على الأرض ما يُرى وما لا يرى سواء كان عروشاً أم سيادات أم رياسات أم سلاطين الكل به وله قد خلق » كولوسى ١ : ١٦ .

هكذا خلق الله آدم الأول ، كاملاً، جميلاً ، طاهراً ، حراً في إرادته ، وكل نظرية أخرى تحط من قدر الإنسان ، وتنزل من قدر الله الخالق المنان ، الكامل الذى لا يخلق سوى الكمال والجمال.

وها هو آدم الإنسان ، قد وقف بين يدى إلهه يؤدى التحية الواجبة على المخلوق من نحو خالقه الطيب الكريم .

ويبقى آدم وحده ردحاً من الزمن لا نعلم بالتحقيق مداه ، مخلوق حريتمتع بحرية الإرادة والاختيار ، ويعطيه الله وصيته الوحيدة كاختبار لحريته قائلاً « من جميع شجر الجنة تأكل أكلا وأما شجرة معرفة الخير والشر فلا تأكل منها لأنك يوم تأكل منها موتاً تموت » تك ٢ : ١٦ .

شجرة واحدة محرمة .. ووصية واحدة حازمة .. ونهاية واحدة محتومة .. إذا استخدم المخلوق الحر إرادته لعصيان إرادة الله « يوم تأكل منها موتا تموت » .

وتمر الأيام على آدم وهو فى الجنة الفيحاء ، وبين الأشجار الخضراء ، والزهور الحمراء ، والبيضاء ، والصفراء يتمتع بالأرض والسماء ، والماء والهواء ، ويعيش فى رحاب الجنة مع رهط من الحيوانات .

وهنا يقول الخالق القادر على كل شئ « ليس جيداً أن يكون آدم وحده . فأصنع له معيناً نظيره » .

وقد يسأل سائل : لماذا لم يخلق الله المرأة يوم خلق الرجل؟ ومع أننا لا نجد إجابة حاسمة لهذا السؤال إلا أننا نستطيع القول : إن الله أراد بأن يكون آدم فى شوق إلى مجئ هذا المخلوق ، حتى إذا جاء أكرمه ، وأحبه ، وأحس معه ببهجة الحياة .

والصورة المرسومة فى سفر التكوين ترينا آدم يبحث بين حيوانات الأرض عن مخلوق يرتاح إليه ، ويتحدث معه ، وفى موكب الحيوانات التى مرت عليه ليعطى لكل حيوان اسمه ، لم يجد لنفسه معيناً نظيره ! ،

فهل أحس آدم بالوحدة فى الجنة الجميلة ؟ ربما ... والسجل المقدس يرينا أن الله قد أحس بما شعر به هذا المخلوق الطيب الوديع ، فأوقع الرب الإله سباتاً على آدم فنام . فأخذ واحدة من أضلاعه وملأ مكانها لحما وبنى الرب الإله الضلع التى أخذها من آدم امرأة ، .

وفى صبح مشرق بهيج ، فتح آدم عينيه ليرى إلهه وهو يحضر له مخلوقاً نظيره ، يحس بأحاسيسه ، ويشعر بمشاعره ، ويضحك لضحكاته ، ويتحدث إليه بلغته التى يفهمها ... ودعا آدم هذه المخلوقة الجميلة ، امرأة ، قائلاً ، لأنها من امرء أخذت،، وسار موكب الأيام والسعادة ترفرف فى أرجاء جنة الإنسان.

وثيقة حقوق الإنسان :

وقفت الإنسانية ممثلة فى آدم وحواء أمام الله تتلقى الوثيقة الأولى التى نطق بها الله ، ورسم فيها حقوق الإنسان ، ونحن نقرأ مواد هذه الوثيقة فى هذه الكلمات :

، فخلق الله الإنسان على صورته . على صورة الله خلقه ،

ذكراً وأنثى خلقهم وباركهم الله وقال لهم أثمروا واكثروا واملأوا الأرض وإخضعوها وتسلطوا على سمك البحر وعلى طير السماء وعلى كل حيوان يدب على الأرض . وقال الله إنى قد أعطيتكم كل بقل يبذر بذراً . لكم يكون طعاماً ، وكان كذلك ، تكوين ١ : ٢٧ – ٣٠.

وهكذا تلقت الإنسانية جمعاء ممثلة فى أبيها آدم وأمها حواء، أول تأمين ضد العوز ، والخوف ، والاستعباد ... فلا جوع، ولا شقاء ... بل بركة ، وإثمار ، وسيادة ، وهناء مقيم .

كيف سقط الإنسان ؟

فجأة يبرز فى وسط هذا المشهد الجميل الرائع ، الشيطان ، مستخدماً الحية فى إسقاط الإنسان .

فمن هو الشيطان ؟ وما أصله ؟ وهل خلق الله ذلك المخلوق الرجيم ؟ أو خلقه ملاكاً رحيماً ثم انحدر ذلك الملاك وسقط عن طريق التصلف والكبرياء ؟

إن حزقيال وإشعياء يشتركان معاً فى كشف النقاب عن أصل هذا المخلوق العجيب . ففى سفر حزقيال نقرأ هذه الكلمات وكان إلىّ كلام الرب قائلا : « يا ابن آدم ارفع مرثاة على ملك صور وقل له : هكذا قال السيد الرب أنت خاتم الكمال ملآن حكمة وكامل الجمال كنت فى عدن جنة الله كل حجر كريم

ستارتك عقيق أحمر وياقوت أصفر وعقيق أبيض وزبرجد وجزع ويشب وياقوت أزرق وبهرمان وزمرد وذهب . انشأوا فيك صنعه صيغة الفصوص وترصيعها يوم خلقت . أنت الكروب المنبسط المظلل . وأقمتك على جبل الله المقدس كنت بين حجارة النار تمشيت . أنت كامل فى طرقك من يوم خلقت حتى وجد فيك إثم ، حزقيال ٢٨ : ١١ – ١٥ ومع أن الحديث موجه إلى ملك صور . لكن الأوصاف التى يتضمنها الحديث لا يمكن أن تنطبق على إنسان بشرى ساقط ، وكل ما فى الأمر أن ملك صور اختير كرمز للشيطان لأنه كان يؤله نفسه كما فعل الشيطان تماماً ، والشخص الموصوف هنا ، خاتم الكمال . ملآن حكمة . وكامل الجمال ، كان يسكن ، عذن جنة الله ، وهى قطعاً غير عدن الجنة التى أسسها الله للإنسان ، وكان الكروب المنبسط المظلل وقد أقامة الله على جبله المقدس ، وتمشى بين حجارة النار ، وكان مخلوقاً كاملاً فى طرقه من يوم خلق حتى وجد فيه إثم !! فمن يكون هذا المخلوق الذى كان بهياً وكاملاً سوى الشيطان ؟ وما هو سر سقوطة الشائن الرهيب ؟ يجيبنا إشعياء بالقول ،كيف سقطت من السماء يا زهرة بنت الصبح ؟ كيف قطعت إلى الأرض يا قاهر الأمم ؟ وأنت قلت فى قلبك أصعد إلى السموات وأرفع كرسىّ فوق كواكب الله . وأجلس على جبل الاجتماع فى أقاصى الشمال . أصعد فوق مرتفعات السحاب . أصير مثلى العلى ، إش ١٤ : ١٢ – ١٤ . فالسر فى سقوط الشيطان هو

التصلف والكبرياء ، هو أنه أراد أن يرفع كرسيه فوق كواكب الله، وأن يصير مثلى العلى . لكنه هوى من مركزه الرفيع ، لأن، قبل الكسر الكبرياء وقبل السقوط تشامخ الروح ، أم ١٦ : ١٨.

وقد يسأل سائل : لماذا لم يبد الله الشيطان من الوجود حين سقط حتى لا يكون سبباً فى سقوط الإنسان ؟ وإجابة هذا السؤال تتلخص فى أن الله قد سمح فى حكمته أن يبقى الشيطان ، ليُظهر للملأ الأعلى شروره فلا يترك مجالاً للشك عند الملائكة من جهة عدالته ، إذ أنه لو أباد الله الشيطان بعد عصيانه مباشرة ، لجاز أن يشك الملائكة فى عدالة الله لكن الله ترك الشيطان ليرى الملائكة والناس خداعه المخيف ، وشره الفظيع ، والشقاء المجسم الذى جلبه على الخليقة بتمرده على خالقه ، حتى إذا حان يوم عقابه الأبدى تجلت عدالة الله فى وضوح وجلاء . وفوق ذلك ففى مقدورنا أن نستعير أيضاً الكلمات التى وجهها الله لفرعون ، كإجابة على سؤالنا بخصوص بقاء الشيطان، إذ قال الله لفرعون ، إنى لهذا بعينه أقمتك لكى أظهر فيك قوتى ولكى ينادى باسمى فى كل الأرض ، رو ٩ : ١٧ ، أجل فقد أبقى الله الشيطان ليظهر فيه قوته ، ويستخدمه فى إعلاء مجده الذى لا يزول .

والذى يهمنا هنا هو أن نسجل أن سبب الخطية فى العالم لم يكن هو الله المحب، الطيب القدوس ، بل كان الشيطان ،

الطاغى، المتكبر، النجس، بعدما هوى من مركزه السامى إلى درك العصيان .

ولقد قال رب المجد فى وصفه للشيطان ، ذاك كان قتالاً للناس من البدء ولم يثبت فى الحق لأنه ليس فيه حق . متى تكلم بالكذب فإنما يتكلم مما له لأنه كذاب وأبو الكذاب ، يو٨:٤٤

والآن ، لندخل إلى جنة عدن لنرى كيف جرب الشيطان الإنسان ، وكيف قاده إلى السقوط ؟

يصور لنا كاتب سفر التكوين منظر التجربة التى أسقطت الإنسان فى هذا التعبير . ، وكانت الحية أحيل جميع حيوانات البرية التى عملها الرب الإله ، ويقيناً أن الشيطان قد استخدم الحية فى خداعه الغريب ، حتى صارت رمزاً دائماً لشخصيته الأثيمة ،وهذا ما يؤكده لنا يوحنا فى رؤياه قائلاً ، فطرح التنين العظيم الحية القديمة المدعو إبليس والشيطان الذى يضل العالم كله طرح إلى الأرض وطرحت معه ملائكته ، رؤ ١٢ : ٩ . فالحية التى تقدمت لتجربة حواء ، كانت تحمل صوت الشيطان إلى قلب الإنسان ، وما أخدع هذا الصوت الناعم الجميل الذى قال عنه بولس الرسول محذراً ، ولكنى أخاف أنه كما خدعت الحية حواء بمكرها هكذا تفسد أذهانكم عن البساطة التى فى المسيح ، ٢ كو ١١ :١٣ .

فكيف تكلم الشيطان بواسطة الحية إلى حواء ؟ وما هى

السموم التى حملتها كلماته إلى الإنسان وهو فى برارته ونقاوته ؟

١ - كان صوت الشيطان هو صوت الشك فى كلمة الله،

لم يكن لدى حواء سوى كلمة الله ، وكان ثباتها فى طاعة هذه الكلمة يعنى الحياة ، والسعادة ، والهناء الدائم ، وكان عصيانها يحمل فى طياته الموت ، والشقاء ، والعذاب الأليم ، وكان هدف الشيطان أن يدخل الشك إلى قلب حواء فى صدق كلمة الله ، وهذا هو عمله على مر العصور والدهور ، فتكلم بواسطة الحية قائلاً « أحقاً قال الله لا تأكلا من كل شجر الجنة ؟» سؤال ماكر ، كاذب ، خداع ، يحمل كل عناصر الخيانة والغدر فقطعاً كانت الحية تعلم ماذا قال الله ، وكانت ترى حواء وهى تنتقل بين أشجار الجنة ، وتأكل ما تريد من أثمار ، لكنها أرادت بسؤالها هذا أن توجد مجالا للحديث مع حواء ، لتغرر بها فتأكل من ثمر الشجرة المحرمة ، وتعصى وصية الله .. وانزلقت المرأة إلى الفخ الذى أحكم الشيطان وضعه ، وأجابت الحية قائلة : « من ثمر شجر الجنة نأكل . وأما ثمر الشجرة التى فى وسط الجنة فقال الله لا تأكلا منه ولا تمساه لئلا تموتا » ، إذاً فلم يقل الله لا تأكلا من كل شجر الجنة ؟ وإذاً فإن سراً رائعاً يكمن فى ثمر هذه الشجرة المحرمة ؟ ومن أجل هذا السر منعهما الله أن يأكلا منه ، وهذا أمر يدعو إلى الشك والتفكير ! وإذ بدأ عقل حواء يفكر ، هتفت الحية قائلة « لن تموتا » ، أو بعبارة أخرى «لا تصدقى الله يا حواء فليست كلمته هى الفيصل» وهكذا غرس الشيطان بذور الشك فى

صدق كلمة الله فى قلب حواء ... وهذه أولى خطوات الانحدار !!

٢ - كان صوت الشيطان هو صوت الشك فى دينونة الله :

فى لغة ماكرة ، ناعمة ، همست الحية فى أذن حواء بالعبارة « لن تموتا » ، ومع أن هذه الكلمة تحوى كل معانى الشك فى صدق الله ، فهى كذلك تحمل فى طياتها كل عناصر الشك فى دينونة الله، فكأن الحية تقول فى عبارة أخرى ، ليس هناك موت، ولا عقاب ، ولا دينونة !! وإلى اليوم مازال الشيطان يبذر ذات البذور فى قلوب البشر، مشككاً إياهم فى حقيقة دينونة الله ، ليستهينوا بالشر ، ويستخفوا بالعصيان ، وإذ دخل الشك فى قلب حواء صارت قريبة من السقوط والانهيار .

٣ - كان صوت الشيطان هو صوت الشك فى محبة الله:

تركزت عينا حواء فى ثمر الشجرة المحرمة ، واستطردت الحية تقول بصوتها الخادع : « الله عالم أنكما يوم تأكلان منه تنفتح أعينكما وتكونان كالله عارفين الخير والشر » ... كيف انسابت هذه الكلمات إلى أذنى حواء ؟ أى صورة رسمتها فى ذهنها لله ؟ هنا يجدر بنا أن نقف قليلاً ، فلا شك أن حواء قالت لنفسها : إذا كان ثمر هذه الشجرة سيجعلنا كالله ، فلماذا حرمنا الله من أكله ؟ ألعله لا يحبنا بالكفاية ؟ ألعله لا يريد لنا الرفعه والمجد والجلال ؟ وبدأت بذور الشك فى محبة الله تغمر هذا

القلب النسائى الضعيف ، واجتمعت عليه كل عناصرالإغواء والغواية ... من شك فى صدق كلمة الله إلى شك فى حقيقية دينونة الله ، إلى شك فى محبة الله، وعندما تملكت هذه الشكوك قلب حواء بدأ صوت التحذير الإلهى يضعف فى ذهنها، وصوت الإغزاء الشيطانى يقوى فى أرجاء نفسها ! ثم تأتى نهاية المأساة ، فينتصر الشيطان على الإنسان ، وتنظر حواء إلى الشجرة فترى ، أن الشجرة جيدة للأكل ، وأنها بهجة للعيون ، وأن الشجرة شهية للنظر ، ثم نقرأ عن الخاتمة المخيفة ، فأخذت من ثمرها وأكلت . وأعطت رجلها أيضاً معها فأكل ، وهكذا سقطت حواء أم الإنسانية ، وسقط معها آدم أبو البشر أجمعين !!

نتائج سقوط الإنسان :

عصت العائلة البشرية الأولى صوت الله ، وأطاعت صوت الشيطان ، وأسدل الستار على عصر برارة الإنسان ، بل أسدل على هنائه ، وسعادته ، وبدأت الدراما الإنسانية تأخذ مكانها على مسرح الأرض الجدباء .

وهنا يليق بنا أن نتتبع النتائج الرهيبة لسقوط الإنسان ، فتعال معى لنسر فى كهوف هذه المأساة الإنسانية الكبرى ، ونرى ما جرته من شقاء على البشرية جمعاء !!

الإحساس بالعري

فتح الإنسان عينيه بعد أن عصى إلهه ليرى نفسه عارياً ،

والإحساس بالعرى هو أكبر دليل على ضياع الشعور بالبراءة ، فالطفل الصغير دون سن المسئولية لا يشعر بالعرى لأن إدراكه لمعنى الشر لم يكمل بعد ، أما الإحساس بالعرى فيعنى أن العين لم تعد بسيطة كما كانت ، وأن العقل بدأ يفكر أفكاراً رديئة ... ولما أحس الإنسان بعريه حاول أن يستر نفسه ، لكن بماذا ؟ بأوراق تين لابد أن تجف وأن تكشف ما وراءها من عورات. ومحاولة ستر الجسد العارى ، تقابلها محاولة أخرى أعمق وأخطر شأناً هى محاولة كبت الشعور بالذنب ، وتغطيته أما بالنسيان ، أو بالاعتذار ، أو بالتهوين ، أو بعدم المبالاة ، أو بالانغماس فى المشاغل والملذات للهروب من مواجهة الله ، وكل هذه أوراق تين لاتستطيع أن تستر ذنب الإنسان .

وجاء الرب الإله !!

فهل استقبله آدم ليحييه التحية الواجبة على المخلوق نحو خالقه ؟ وهل أسرع إليه كعادته كل يوم ليتحدث معه حديث الشركة القلبية الحبية ؟ !

الإحساس بالخوف :

لقد طغى عنصر جديد على حياة هذا المخلوق بعد أن عصى وصية الله ، هو عنصر الإحساس بالخوف ، والخوف والخطية صنوان لا يفترقان .

جاء الرب الإله ، فلما سمع آدم وامرأته صوته عند هبوب ريح النهار أحسا بالخوف ، واختبأ في وسط شجر الجنة . قالت لهما الحية أنهما سيصيران كالله ، وهاهما ينزلان درجة في سلم الانحدار ، فيملأهما الخوف من مواجهة الله ،. ويسرعان للاختباء وسط الأشجار تماماً ، كما يفعل الكثيرون اليوم ، حين يختبئون وراء أشجار المذاهب الدينية ، أو وراء أشجار المظاهر الكنسية ، أو وراء أشجار العلم والأدب وحسن اللياقة ... أشجار كلها إلى ذبول .

الإحساس بالعداء

وألقى الله أول سؤال سمعه إنسان عاش على هذه الأرض «آدم ... أين أنت ؟ » وأجاب آدم « سمعت صوتك فخشيت لأني عريان فاختبأت » وكشف الإنسان في إجابته عن حقيقة إحساسه من نحو الله ، إحساس الخوف بدل إحساس الحب ، وإحساس العداء والهرب بدل إحساس القرب !! ومع الإحساس بالعداء لله ، شعر الإنسان بالعداء لأخيه الإنسان ، ونرى ذلك في محاولة آدم إلقاء التبعة على حواء ، وذكر شخصيتها دون أي لقب يدل على الحب والوفاء فقد قال لله « المرأة التي أعطيتني » ، ولم يقل شريكة حياتي أو أليفة وحدتي ... ومنذ ذلك اليوم والعداء مستحكم بين الناس، نراه في الحروب، والخصام ، وسفك الدماء!! وكل هذه المشاعر والأحاسيس ملأت كيان الإنسان بعد السقوط .

وسأل الله آدم « من أعلمك أنك عريان ، هل أكلت من الشجرة التى أوصيتك أن لا تأكل منها » . ويقينا أن الله كان يعرف أن آدم قد أكل من الشجرة لكنه سأله ليعطيه فرصة للاعتراف بخطيته ، ولكننا بدلاً من أن نسمع اعترافاً وشعوراً بالندم ، نسمع إجابة جريئة متبجحة تخرج من فم الإنسان إذ يقول « المرأة التى جعلتها معى هى أعطتنى من الشجرة فأكلت» ، وكأنه بهذه الإجابة يضع مسئولية سقوطه على الله ، لا على طاعته للشيطان وسماعه لصوت الاغراء الآتى من حواء !!

وسأل الله حواء : ما هذا الذى فعلت ؟ ومرة ثانية ، يتنصل الإنسان من المسئولية ، فتجيب المرأة وهى نصف البشرية الثانى: « الحية غرتنى فأكلت » .

ولا يسأل الله « الحية » ، لأنه يعرفها ... يعرف أن الشيطان قد استخدمها ، وأنه يتحداه بإسقاطه للإنسان !!

وهنا يجلس الله فى مجلس القضاء ، ويتخذ العدل مجراه.

ويبدأ الله فى إصدار عقوباته على المذنبين .

ويصدر الله العقوبة الأولى على الحية قائلاً « لأنك فعلت هذا ملعونة أنت من جميع البهائم ومن جميع وحوش البرية على بطنك تسعين وترابا تأكلين كل أيام حياتك . وأضع عداوة بينك وبين المرأة وبين نسلك ونسلها هو يسحق رأسك وأنت تسحقين عقبه » .

ثم يصد العقوبة على المرأة قائلاً « تكثيراً أكثر أتعاب حبلك. بالوجع تلدين أولاداً . وإلى رجلك يكون اشتياقك وهو يسود عليك» .

ويأتى دور آدم ويصدر الله ضده هذا القصاص « لأنك سمعت لقول امرأتك وأكلت من الشجرة التى أوصيتك قائلاً:لا تأكل منها . ملعونة الأرض بسببك . بالتعب تأكل منها كل أيام حياتك وشوكاً وحسكاً تنبت لك وتأكل عشب الحقل . بعرق وجهك تأكل خبزاً حتى تعود إلى الأرض التى أخذت منها لأنك تراب وإلى تراب تعود » تكوين ٣ : ١٤ – ١٩ .

وفى عقوبة آدم تتجسم شناعة خطية الإنسان ، وتظهر مسئوليته فى طاعته بمحض حريته لصوت الشيطان ... لقد وضع الله الإنسان فى هذا الامتحان ، ليعلمه أنه وكيله الذى أقامه على مخلوقاته التى وضعها تحت امرته ، وأنه لابد أن يعطى حساباً لله إذا أساء تصرفه فى وكالته ، والشخص الذى يفقد الإحساس بوكالته لله ، يفقد حتما فهمه لحقيقة أصله ونهايته ، ويكون قلبه مرتعاً لكل أنواع الشر ، ومن المستحيل أن يخلق الله مخلوقاً عاقلاً دون أن يرسم له حدود حياته التى لا يجب أن يتعداها ، والمخلوق العاقل ينبغى أن يشعر دائماً بمسئوليته أمام خالقه ، وبضرورة الطاعة لوصيته .

أما آدم فلم يطع الله ، بل سمع لقول امراته ، وفضلها عن

إلهه ، ولذا كان هو المسئول الأكبر في مأساة السقوط ، وبسببه جاءت اللعنة للأرض ، وجاء للبشر التعب والكد ، وانبتت الأرض الملعونة الشوك والحسك ، وصار الإنسان التعس المسكين عبداً لبطنه يأكل لقمة العيش بعرق الجبين .

إلى متى ؟ « إلى أن تعود إلى الأرض التى أخذت منها لأنك تراب وإلى تراب تعود » .

وهكذا نفذ الله كلمته « لأنك يوم تأكل منها موتا تموت » ، وشرعت قوى الموت تشتغل في الإنسان ، من الناحيتين الروحية والجسدية ، حتى إذا انتهى يوم حياته عاد إلى التراب .

ثم جاءت الخطوة الأخيرة « فطرد الرب الإنسان وأقام شرقى جنة عدن الكروبيم ولهيب سيف متقلب لحراسة طريق شجرة الحياة » وخرج الإنسان الطريد إلى أرض الأشواك ، التى صارت مسرحاً للدراما الكبرى التى صنعها الإنسان .

وتفشت الخطية في كل مكان وطأته أقدام الإنسان !! وكان أول إنسان ولد من حواء هو « قايين » القاتل الأول الذي لوث الأرض بدماء هابيل أخيه .

لقد كان آدم نائباً وممثلاً لجميع الجنس البشرى الذى كان في صلبه يوم تعدى وصية الله ، فبعد طرده من الجنة ولد نسلاً ساقطاً نظيره في حالة الفساد الروحى والأدبى ، وتحت حكم الموت والدينونة التى استحقها بعصيانه على الله ، وقد ورث هذا

النسل عن أبويه الأولين حياة العداوة لله ، والتمرد على شرائعه ووصاياه ، وهذا ما يقرره بولس الرسول فى كلماته « من أجل ذلك كإنما بإنسان واحد دخلت الخطية إلى العالم وبالخطية الموت وهكذا اجتاز الموت إلى جميع الناس إذ أخطأ الجميع » رو ٥ : ١٢ ، وما يؤكده داود فى قوله « ها أنذا بالإثم صورت وبالخطية حبلت بى أمى » مز ٥١ : ٥ ، وهكذا كان أول مولود للإنسان الساقط ، ولداً قاتلاً نجساً .

ثم ظهر فى العالم الموجود وقتئذ مبدأ تعدد الزوجات عندما « اتخذ لامك لنفسه امرأتين » تك ٤ : ١٩ ، مع أن الله يوم خلق الإنسان ، خلق امرأة واحدة لرجل واحد ، وسجل كاتب سفر التكوين كلماته « لذلك يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بامرأته ويكونان جسداً واحداً » تك ٢ : ٢٤ .

ومع هذا كله ابتدع الإنسان الموسيقى العالمية ، ليغرق فى غمرة أصواتها متاعبه ، وينسى همومه ، وينسى معها أبديته ومطاليب إلهه ، فبزغ على مسرح التاريخ « يوبال الذى كان أباً لكل ضارب بالعود والمزمار » تك ٤ : ٢١ .

ثم شرع الإنسان فى إنشاء صناعاته الخفيفة والثقيلة ونبغ فى هذا « توبال قايين الضارب كل آلة من نحاس وحديد » تك ٤: ٢٢ وانغمس الإنسان فى الموسيقى ، والرقص والطرب ، والغناء ، وانحدر فى دنياه الجديدة إلى الحضيض .

صار الحب سلعة تباع ، والشرف كلمة ساذجة بلا معنى ، والسيف هو القانون الوحيد ، واخترق الإنسان أيسر السبل لسد أرخص غرائز الحياة ، فمن اتجار بالرقيق الأبيض ، إلى سطو ، إلى سرقة ، إلى أى شئ وكل شئ لا تقره شريعة السماء .

وغرقت مدينة الإنسان الطريد فى اللهو ، والعمل الشاق ، فلم تعد تستطيع أن تتبين ما تعانى من أمراض ...

لقد سد الشيطان فم البشرية بالمخدر ، حتى لم يعد فى مقدورها أن تتحدث فتشكو ما تحسه من مرارة ... أرهقها السهر، والعمل والشراب ، فلم تعد قادرة على الشكوى مما هى فيه من محنة ... وعلى مر التاريخ ، ظهر المستغلون ، والمستبدون ، والمحتكرون ، تجدها فى كل عاصمة ، وكل مدينة ، كما تجدها فى القرى الصغيرة حتى لو تخفت هذه القرى بين صخور الجبال، بل تجدها فى أكثر بلاد الدنيا صرامة ، وعبادة، وتصوفاً، ومع الخطيئة تجد كل صنوف الألم ، والحرمان ، والعذاب.

فهل هذا هو تدبير الله للإنسان ؟

هل خلق الله الإنسان ، لهذا الاستهتار ، وهذا التدهور ، وهذا الانغماس فى الشر ؟ هل خلقه لهذه الحياة البائسة ، اليائسة، الباكية ، المليئة بالأشواك ؟ هل خلقه ليحيا مكافحاً فى الأرض إلى بضع سنين ثم يكون مثواه الأخير التراب ؟

يقيناً لا !!

فقد كان البرنامج الإلهي للإنسان يحوى كل عناصر البركة، والسعادة ، والهناء والبقاء ، ظهر هذا فى أول وثيقة قدمها الله للإنسان ساعة أوجده فى جنة عدن .

لكن الشيطان دخل فى معركة مع الله ، وأفسد ذلك المخلوق الساذج ، الطاهر ، البرئ ، وانتزعه من الجنة ليكون تحت سلطته فى العالم الذى دفعه الله إلى يديه ، وقاده إلى الموت . لأنه سلطان الموت فهل يرضى الله أن يترك خليقته فريسة سائغة بين براثن الشيطان ؟

هل يرضى بأن يلاشئ الشيطان برنامجه الرائع الجميل الذى رتبه للإنسان ؟

أعود مؤكداً : يقيناً لا !!

إذن كيف يستطيع الله أن يعيد الإنسان إلى المركز الذى أراده له فى برنامجه العظيم ؟

كيف يستطيع أن يغفر للإنسان بعد أن عصاه ؟ وأن يهبه الحياة بعد أن أوقع عليه عقوبة الموت ؟ وأن يرجعه إلى الفردوس المردود ، بعد أن أضاع فردوسه المفقود ؟

كيف يستطيع أن يشتريه لنفسه من جديد ، بعد أن رضى باختياره أن يبيع نفسه للشيطان ؟

كيف يمكن أن يهبه طبيعة جديدة بعد أن فسدت طبيعته الأولى ؟ وأن يعيد شركته معه بعد أن فصلت الخطية بينه وبينه؟! وأن يريه فى صورة مجسمة شناعة تعديه ؟

إن عدالة الله تطالبه بتنفيذ القصاص الرهيب !

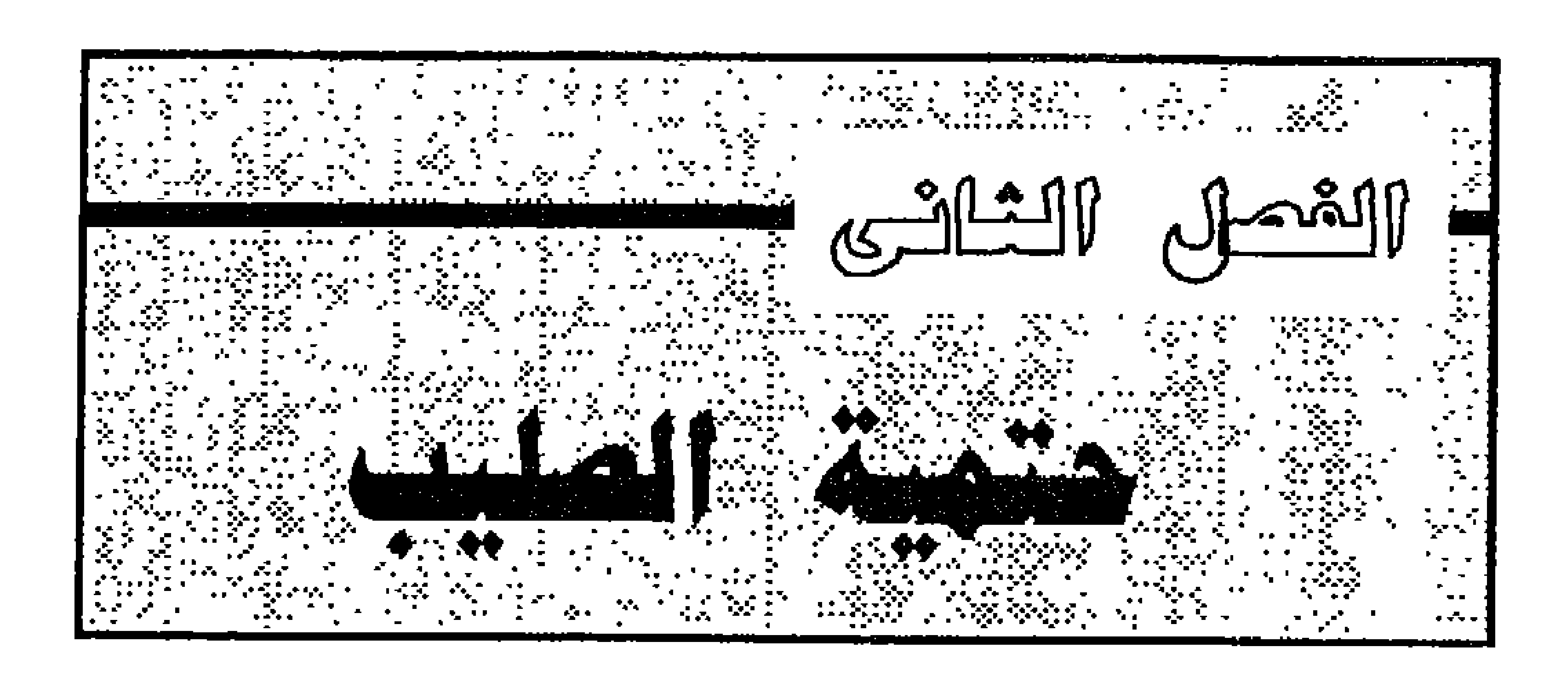
ورحمة الله تناديه بأن يرحم خلقه وهو أرحم الراحمين !

فكيف يوفق الله بين عدله ورحمته ؟

كيف يوفق بين قداسته ومحبته ؟

كيف ينقذ الإنسان الساقط الذى تمرد على وصيته ؟

هنا فقط تظهر ضرورة الصليب ، وهنا لابد أن يأتى المسيح ويصلب ... وهنا نستطيع أن نفهم كلمات الرسول الجليل ، نحن نكرز بالمسيح مصلوباً لليهود عثرة ولليونانيين جهالة . وأما للمدعوين يهوداً ويونانيين فبالمسيح قوة الله وحكمة الله ، ١كو١ :٢٣ ، ٢٤ .



الفصل الثانى

حتمية الصليب

خرج آدم من جنة عدن يهيم على وجهه فى أرض ملعونة تنبت له الشوك والحسك، ومعه امرأة قُضى عليها أن تضع أولادها بالوجع والألم، وصار العدد العديد من الحيوانات متوحشاً ضارياً من جراء اللعنة التى غمرت الأرض .

وتلفت أبو البشر صوب جنة عدن بعد طرده منها فرأى أن الرب قد أقام الكروبيم ولهيب سيف متقلب لحراسة طريق شجرة الحياة . وقد يسأل المرء : لماذا أقام الله الكروبيم ولهيب سيف فى طريق آدم حتى لا يأكل من شجرة الحياة ؟ وفى اعتقادى هذا الاجراء كان رحمة كبرى للإنسان من جانب الله ، فلو أن الإنسان أكل من شجرة الحياة ،وعاش إلى الأبد ، لكانت حياته كتلة من الفساد الذى ليس له حدود ، والشقاء الذى ليس له نهاية.. وفى ذات الوقت كان هذا السيف دليلاً واضحاً على أن طريق الحياة هو طريق الموت ، وعلى أن أحداً لن يستطيع أن يأكل من شجرة الحياة إلا بعد أن يأتى الشخص الذى يحتمل هذا

السيف ، والذى تتم فيه النبوة القائلة « استيقظ يا سيف على راعي وعلى رجل رفقتي » زك ١٣ : ٧ .

أصبح آدم إذن إنساناً طريداً ، انقطعت شركته مع الله ، وقد اسلم قياد حياته للشيطان، وباع نفسه له، وصار عبداً للخطية يأكل لقمة العيش بعرق الجبين ، ويعيش فى حياة الخوف والفزع وعدم الاستقرار.

كيف يعيد الله هذا المخلوق العاصى إلى رحابه ؟ وكيف يعطيه امتياز الشركة معه والاتصال به بعد أن صارت الخطية فاصلاً بينه وبين إلهه ؟ وكيف يشترى هذا المخلوق البائس الذى رضى بملء حريته أن يبيع نفسه للشيطان؟ . وكيف يتبرر هذا المخلوق المذنب عند الله ؟ كيف يتم هذا كله ، والله هو الإله القدوس ، العادل ، البار الذى يكره الخطية ويمقتها ، ولا يستطيع بطبيعته الطاهرة أن يحتملها وهو فى ذات الوقت الغفور الرحيم ، المحب الكريم ، الجواد الطيب القلب ؟

هل يستطيع الله أن يغفر خطية الخاطئ دون أن ينال الخاطئ قصاصها ! فأين عدالته ؟

وهل يرضى الله بعقاب خليقته الساقطة على أوزارها ! فأين رحمته ؟ هنا تظهر ضرورة الصليب ، الذى فيه بانت الحكمة الأزلية التى نفذت كل مقاصد الله ، أجل !

قد بانت الحكمة	وزادت النعمـــة
والتقت الرحمـة	بالعدل فى المسيح

فهلم بنا إلى مقادس الكلمة المقدسة ، طالبين من إلهنا الغنى، أن يكشف عن عيوننا لنرى ضرورة الصليب المجيد :

١ - الصليب كان قضاءً إلهياً لأنه وفق بين عدل الله ورحمته.

يتساءل الكثيرون مراراً عن الضرورة القصوى التى جعلت كل آلام المسيح امراً مقضياً ، فمن قائل « ألم تكن مجرد كلمة من الله بكافية أن تغفر كل الخطايا ؟ » إلى سائل « أليس الله هو الغفور الرحيم فلماذا يطلب ذبيحة كفارية حتى يغفر خطايا البشر؟ » إلى متسائل « كيف يكون الله محبة ثم يرضى بعذاب المسيح البرئ على الصليب ؟ » وليس فى مقدور أحد أن يجيب عن هذه الأسئلة إلا إذا عرف صفات الله جل وعلا ، فمن هو ذلك الشخص الذى رأى الله حتى يخبرنا تماماً عن صفاته ؟ لقد أراد موسى أن يرى الله وقال له « أرنى مجدك »، لكن الله أجابه قائلاً « لا تقدر أن ترى وجهى . لأن الإنسان لا يرانى ويعيش » خر ٣٣ : ١٨ ، ٢٠ . إذن كيف يستطيع الإنسان أن يعرف الله ، وأن يدرك صفاته جلت قدرته ؟ إن السبيل الوحيد هو أن يعلن الله عن ذاته للناس بوحى من السماء، هو أن يقول للناس من هو

وما هى صفاته !! وبغير هذا السبيل يكون الحديث عن الله مجرد تكهن لا أساس له من الصحة ، وهذه هى الحقيقة التى قررها الرسول يوحنا فى غرة انجيله قائلاً ، الله لم يره أحد قط . الابن الوحيد الذى هو فى حضن الآب هو خبر ، يو ١ : ١٨ وإذن ففى مقدورنا ، أن نعرف صفات الله بواسطة التعاليم التى علم بها المسيح له المجد . وسجلها البشيرون فى كتابتهم .

فما هى صفات الله الواضحة فى تعاليم السيد له المجد ؟ إن الصورة المجسمة لهذه الصفات تتمثل فى صفتين ، الرحمة ، ، ،العدالة ، ففى انجيل متى نجد رحمة الله ظاهرة فى هذه الكلمات ، يشرق شمسه على الأشرار والصالحين ويمطر على الأبرار والظالمين ، مت ٥ : ٤٥ ، بينما نجد عدالة الله واضحة فى هذه العبارات ،فإن كانت عينك اليمنى تعثرك فاقلعها وألقها عنك. لأنه خير لك أن يهلك أحد أعضائك ولا يلقى جسدك كله فى جهنم، مت٥ : ٢٩ ، وبينما تتجلى رحمة الله فى دعوة المسيح للمتعبين لنوال الراحة فى قوله ،تعالوا إلىّ ياجميع المتعبين والثقيلى الأحمال وأنا أريحكم، مت١١ :٢٨ ، نرى عدالة الله بارزة فى الكلمات ،فكما يجمع الزوان ويحرق بالنار هكذا يكون فى انقضاء هذا العالم، يرسل ابن الإنسان ملائكته فيجمعون من ملكوته جميع المعاثر وفاعلى الإثم. ويطرحونهم فى أتون النار هناك يكون البكاء وصرير الأسنان، مت١٣ :٤٠-٤٢ .

وإذ ندخل إلى مقادس إنجيل مرقس ، نرى أنه بينما يذخر

هذا الإنجيل بأعمال الرحمة ، تبدو فيه العدالة بصورة مجسمة فى قول المسيح له المجد ، من جدف على الروح القدس فليس له مغفرة إلى الأبد بل هو مستوجب دينونة أبدية ، مرقس ٣ : ٤٩ .

وعلى هذه الوتيرة نجد هذين الخطين يسيران جنباً إلى جنب ، فى كل الأناجيل ، الخط القرمزى المميز لرحمة الله ومحبته ، والخط النارى المميز لعدالة الله وقداسته . ويبدو هذا جلياً فى إنجيل لوقا فبينما نقرأ هناك عن قصة الابن الضال التى تمثل حنان الآب وغفرانه ، وقصة الفريسى والعشار التى تصور رحمة الله على الخاطئ التائب ، وقصة الخروف الضال التى ترينا بحث الله عن الخاطئ الهارب ، كذلك نقرأ عن عقاب الله لمن يهملون التوبة والإلتجاء إلى رحمته ، إذ نقرأ فى هذا الإنجيل إجابة السيد له المجد للقوم الذين جاءوا يخبرونه عن الجليليين الذين خلط بيلاطس دمهم بذبائحهم فى قوله ، أتظنون أن هؤلاء الجليليين كانوا خطاة أكثر من الجليليين لأنهم كابدوا مثل هذا كلا أقول لكم بل إن لم تتوبوا فجميعكم كذلك تهلكون ، لوقا ١٣ : ٢ ، ٣ وفى مرة ثانية يتكلم المسيح لتلاميذه عن عدالة الله ويظهرها فى هذا الحديث ، وأية مدينة دخلتموها ولم يقبلوكم فاخرجوا إلى شوارعها وقولوا حتى الغبار الذى لصق بنا من مدينتكم ننفضه لكم . ولكن اعلموا هذا أنه قد اقترب منكم ملكوت الله ، وأقول لكم أنه يكون لسدوم فى ذلك اليوم حالة أكثر احتمالاً مما لتلك المدينة ، لو ١٠ : ١٠ – ١٢.

ويتجلى التعليم عن رحمة الله وعدالته فى انجيل يوحنا ، المعروف بأنه انجيل المحبة فبينما ترن موسيقى رحمة الله ومحبته فى الكلمات ، لأنه هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد ، يو ٣ : ١٦ تتجسم عدالة الله فى الكلمات ، الذى لا يؤمن بالابن لن يرى حياة بل يمكث عليه غضب الله ، يو ٣ : ٢٦.

وهذا التعليم نفسه يظهر واضحاً فى رسالة يوحنا الأولى ، ففى الأصحاح الرابع يقول يوحنا ، الله محبة ومن يثبت فى المحبة يثبت فى الله والله فيه ، ١ يو ٤ : ١٦ وفى الأصحاح الأول يقول ، الله نور وليس فيه ظلمة البتة . إن قلنا أن لنا شركة معه وسلكنا فى الظلمة نكذب ولسنا نعمل الحق ، ١ يو ١ ٥ ، ٦ فما معنى عبارة ، الله نور ، إن النور ليس فقط ضد الظلام ، لكنه لا يمكن أن يعيش مع الظلام فحيثما يوجد النور يهرب الظلام ، فإذا كانت محبة الله ترغب فى أن تغفر للخاطئ ، لكن ، الله النور ، لا يستطيع أن يحيا مع الخطية أو يحتملها ، فالله والخطية لا يمكن أن يوجدا معاً كما يقول حبقوق ، عيناك أطهر من أن تنظر الشر ولا تستطيع النظر إلى الجور ، حب ١ : ١٣ والذين يسلكون فى الظلمة لا يمكن أن يكون لهم شركة مع الله ، ومن الآية يتوضح لنا أن السلوك فى الظلمة هو حالة الذين يكذبون ولا يعملون الحق . وهؤلا لا صلة لهم بالله !!

وعلى هذا فالصورة التى يجب أن نرسمها لله فى أذهاننا هى: أن الله الرحيم هو أيضا إله عادل ، وأن الله المحب هو أيضا إله قدوس يكره الخطية ! ،إذا تركزت هذه الصورة فى أذهاننا ، فأننا لن نعود إلى سؤالنا القديم ، ألم تكن مجرد كلمة من الله بكافية لأن تغفر كل الخطايا ، إذ أننا سندرك على الفور أن صفات الله الأدبية الكاملة ، لا يمكن أن تسمح بغفران الخطية دون أن تنال قصاصها ، وقد أعلن الله عن عقاب الخطية فى الكلمات ، ها كل النفوس هى لى . نفس الأب كنفس الابن . كلاهما لى . النفس التى تخطئ هى تموت، حز ١٨ :٤ ، فالخطية إذاً ليست من السهولة حتى يمكن غفرانها بكلمة دون أن تنال القصاص.

وعلى هذا فأن الصليب يبدو أمامنا ضرورة حتمية للتوفيق بين عدل الله ورحمته !!

وقف أحد خدام الله فى ميدان من ميادين لندن ، يتأمل تمثال العدل المقام فوق دار محكمة كبرى فى ذلك الميدان ، وهو تمثال لامرأة معصوبة العينين ، تمسك فى يدها اليمنى بسيف ذى حدين ، وتقبض بيدها اليسرى على ميزان ، وهى تمثل العدالة التى لا تحابى بالوجوه ، وإنما تحكم بحسب ميزان القانون... وعلى مسافة ليست ببعيدة ، رأى ذلك الخادم الجليل صليباً مرتفعاً فوق قبة كنيسة ضخمة !! وقف مبهوتاً بين

المنظرين ، وأشار بيده إلى تمثال العدل وقال : هنا عدالة الله التى تنفذ القانون بغير محاباة !!! هنا الكروبيم ولهيب سيف متقلب لحراسة طريق شجرة الحياة ... ثم أشار إلى الصليب المرتفع وهتف مردداً : وهنا الرحمة المتجسدة التى فتحت الطريق إلى الفردوس المردود ، بعد أن أضاع الإنسان فردوسه المفقود.

أجل ، إن الصليب ضرورة لازمة لإظهار رحمة الله ، وعدالة الله ، فالمسيح عندما مات على الصليب كان بديلاً للإنسان الذى تعدى وصية الله ، وفيه تلاثم العدل والرحمة وظهر بر الله كما يقرر ذلك بولس الرسول وهو يشرح فلسفة الصليب قائلاً : « وأما الآن فقد ظهر بر الله .. بر الله بالإيمان بيسوع المسيح إلى كل وعلى كل الذى يؤمنون . لأنه لا فرق إذ الجميع أخطأوا وأعوزهم مجد الله متبررين مجاناً بنعمته بالفداء الدى بيسوع المسيح . الذى قدمه الله كفارة بالإيمان بدمه لإظهار بره من أجل الصفح عن الخطايا السالفة بإمهال الله » رو ٣ : ٢١ ، ٢٢ – ٢٥ ، فالصليب فى نظر بولس كان هو الوسيلة التى بها تعانقت الرحمة مع العدل إذ عليه مات « الإنسان الثانى يسوع المسيح » نائبا عن البشرية الساقطة ، وكما سقطت البشرية فى آدم الأول كما يقرر الرسول فى القول « بإنسان واحد دخلت الخطية إلى العالم وبالخطية الموت وهكذا اجتاز الموت إلى جميع الناس إذ أخطأ الجميع » رو ٥ : ١٢ كذلك أعطيت الإنسانية

فرصة لنوال الحياة عن طريق « الموت » الذى احتمله المسيح لأجلها ، وهذا ما يقرره بولس فى الرسالة إلى رومية أيضا قائلاً « لأنه إن كان بخطية واحد مات الكثيرون فبالأولى كثيراً نعمة الله والعطية بالنعمة التى بالإنسان الواحد يسوع المسيح قد ازدادت للكثيرين » رو ٥ : ١٦ فآدم ممثل البشرية الأول جلب الموت للبشرية ، فجاء يسوع المسيح «الممثل الثانى للبشر» ، وحمل هذا الموت فى جسده على الصليب ، وهكذا حرر كل من يؤمن به من هذا القصاص الرهيب ، وهذا ما يؤكده لنا بطرس الرسول فى كلماته « الذى حمل هو نفسه خطايانا فى جسده على الخشبة لكى نموت عن الخطايا فنحيا للبر الذى بجلدته شفيتم » ١بط ٢٤:٢، وبهذه الكيفية ارتاحت رحمة الله وسكنت أحشاء رأفته ، بينما أخذ العدل الإلهى حقه كاملاً فى يسوع المسيح الذى رضى طائعاً مختاراً أن يفدى الإنسان الأثيم ، وتمت الكلمة المكتوبة «الرحمة والحق التقيا . البر والسلام تلاثما » مز ٨٥ : ١٠ .

٢ - الصليب كان قضاءً إلهياً لأنه أظهر للإنسان فظاعة خطيته :

تحدث كارليل مرة مع أحد أصدقائه المسيحيين فقال « لو كان الله يقدر الخطية حق قدرها لكسر قلبه » ، فأجابه المسيحى « وهذا ما وقع بالفعل على الصليب حين خرج من قلب المسيح دم وماء لما طعن بالحربة بعد موته دليلاً على أنه قضى مكسور

القلب جريح الفؤاد » . أجل ، إن الصليب كان ضرورة ليظهر للإنسان فظاعة خطيته ! ولقد كان بولس الرسول يعتز بتدينه وبره الذاتى إلى أن أشرق عليه نور الصليب فردد كلماته التى يظهر فيها تقديره لفظاعة خطيته قائلاً « صادقة هى الكلمة ومستحقة كل قبول أن المسيح يسوع جاء إلى العالم ليخلص الخطاة الذين أولهم أنا » ١ تى ١ : ١٥ .

وقصة الصلب ترينا مقدار فظاعة خطية الإنسان ، فعندما أخذ رؤساء الكهنة والشيوخ يسوع إلى دار الولاية لكى يحاكم أمام بيلاطس ، ليحكم عليه بالموت إذ لم يكن لليهود فى عهد الحاكم الرومانى أن ينفذوا حكم الاعدام فى أحد إلا بعد الرجوع للسلطة الرومانية ، تحقق الوالى الرومانى براءة « يسوع » ، وأراد كرجل سياسى أن ينقذ المسيح ، وفى ذات الوقت أن يحتفظ برضاء الجماهير ، وكان معتاداً فى العيد أن يطلق للجمع أسيراً واحداً من أرادوه ، وكان لهم حينئذ أسير مشهور يسمى « باراباس » وذاك كان قد طرح فى السجن لأجل فتنة حدثت فى المدينة وقتل ، فوقف بيلاطس ليسأل الجماهير الصاخبة « من تريدون أن أطلق لكم . باراباس أم يسوع الذى يدعى المسيح ؟ » مت ٢٧ : ١٧ .

ووقفت البشرية لتحكم لنفسها أو عليها ، ولكنها ظهرت على حقيقتها الشريرة الساقطة !!! كان أمامها باراباس ، اللص ، مدبر الفتن والمؤامرات ، القاتل الذى لوث يديه بالدماء أو يسوع الذى جال يصنع خيراً ويشفى جميع المتسلط عليهم إبليس !! باراباس

فى كفة ... ويسوع فى كفة ... قاتل وملك ... نجس وقدوس .. لص ونبى يجرى المعجزات !! فأيهما تختار البشرية ؟ ! إن شبيه الشئ منجذب إليه ، ولذا فأن البشرية قد نادت يوم الصليب «أطلق لنا باراباس » .. وهكذا ظهر قلبها النجس، الشرير، المخادع، المنجذب إلى سفك الدماء بطلب صلب المسيح ، واطلاق القاتل باراباس ... أجل . عند الجلجثة ظهرت فظاعة الخطية ، وسجلت الإنسانية على نفسها هذه الفظاعة يوم كتبت على صليب المسيح بلغاتها الثلاث : اليونانية لغة العلم والفلسفة ، واللاتينية لغة الحكومة الرومانية ، والعبرانية لغة الديانة اليهودية « هذا هو ملك اليهود » لوقا ٢٣ : ٣٨ ... أجل اختارت البشرية الفساد وصلبت رب المجد ، واختارت سفاك الدماء وصلبت رب الفداء ، واختارت اللص ، وصلبت السيد القدوس . فيالفظاعة خطيتها ! ... قال خادم جليل من خدام الله وهو يشرح كيف ظهرت فظاعة الخطية فى صليب المسيح : « رأيت المريض المعذب يصرخ من الألم وسألت : ما سبب هذا ؟ فقالوا : الخطية! ورأيت الدماء الغزيرة تسفك فى الحروب ، وسألت : ما سبب هذا؟ فقالوا الخطية ؟ ورأيت الفقر الرهيب الذى يذل البشر ، وسألت : ما سبب هذا ؟ فقالوا الخطية ... ولكنى لما رأيت يسوع البار والناس الأدنياء يبصقون على وجهه الكريم ، والجنود الأردياء يكللون رأسه الملكى بإكليل الشوك ، وعبد دنئ لرئيس الكهنة يصفعه على وجهه النبيل ، ثم رأيته بعد ذلك وجنود الحكومة الرومانية يسمرونه فى الصليب ، ويرفعونه على رابية الجلجثة حتى تمزقت أعصابه ... صرخت ما سبب هذا ؟ فقالوا:

الخطية . وهنا فقط رأيت فظاعة الخطية فى حياة البشر » .

حدثنا أحد رجال الله بقصة عن شاب هندى ، تربى فى بيت مسيحى ، ترك بلاده قاصداً بلاد الغرب فى طلب العلم ، وهناك حاد عن جادة الحق ، ووقع فى حبائل الشرور والآثام ، وتلوثت حياته بالنجاسات والأوحال ، ولما أتم دراسته ، عاد إلى بلاده فاستقبلته والدته بصدر رحب وثغر بسام ، ورأى نفسه يعود إلى المذبح العائلى ، ويسمع أصوات الترانيم وآيات الكتاب ، لكنه لم يعد يشعر فى بيته بتلك الراحة التى كان يشعر بها من قبل حين كان يسمع صوت الترنيم ، لأنه أحس أنه فى وادى وأمه فى وادى ، فأراد أن يستعيد ذلك الشعور المريح ، ثم خطر بباله أن يعترف لأمه بذنبه ، ليعرف تأثير خطاياه فى نفسها ، وكانت الأم سيدة تقية نقية ، أقرب إلى الملائكة منها إلى البشر ، فتقدم إليها فى غرفتها وهى جالسة وشرع فى سرد قصته المحزنة ، واعترف لها بما اقترف من آثام ، فلما سمعت تلك الأم القديسة اعتراف ابنها . هالها ما سمعت ، فقامت من مقعدها ، واستمعت له وهو يفوه باعترافه ، ولما بلغ نهايته ، رآها وقد ارتعشت كورقة ذابلة اسقطتها الرياح ، مستندة بيديها إلى الجدار الذى كان خلفها، فاتحة يديها على شكل صليب ، فصعق الفتى من هول هذا المنظر لأن أمه تمثلت له كأنها صلبت على الجدار من أجله، بسبب شناعة آثامه .... وقال: لم أعرف فظاعة خطاياى إلا بعد أن رأيت أمى تتمثل أمامى كأنها مصلوبة على صليب...

وعزمت من ذلك اليوم على التوبة الصادقة عن خطاياى .

يذكر لنا إشعياء اختباره فى الأصحاح السادس من سفره قائلاً ، فى سنة وفاة عزيا الملك رأيت السيد جالساً على كرسى عال ومرتفع وأذياله تملأ الهيكل . السرافيم واقفون فوقه كل واحد ستة أجنحة باثنين يغطى وجهه وباثنين يغطى رجليه وباثنين يطير . وهذا نادى ذاك وقال قدوس قدوس رب الجنود مجده ملء كل الأرض فاهتزت أساسات العتب من صوت الصارخ وامتلأ البيت دخاناً . فقلت ويل لى إنى هلكت لأنى إنسان نجس الشفتين وأنا ساكن بين شعب نجس الشفتين لأن عينى قد رأتا الملك رب الجنود ، إش ٦ : ١ - ٥ فإذا كان إشعياء قد رأى نجاسة شفتيه ، ونجاسة شعبه عندما رأى السيد جالساً على كرسيه ، والسرافيم حوله ينادى كل واحد الآخر بقداسته ، فأى إحساس يملأ قلب الإنسان وهو يرى السيد ، لا على كرسيه ، بل على الصليب ، معلقاً بين الأرض والسماء لأجل سواد خطية الإنسان؟! يقينا ، أن المرء يشعر فى نور الصليب بفظاعة خطاياه

٣ - الصليب كان قضاءً إلهياً لأنه فتح قلب الله للإنسان وبين له محبته :

امتلأ قلب الإنسان بالعداء لله ، من يوم أن عصاه ومازال الشيطان يحاول كل يوم أن يزيد هذا العداء البغيض فى قلب

الإنسان ، بتوجيه نظره إلى الجوانب السوداء فى الحياة . فهو بدلاً من أن يفتح عيون الناس على نور الشمس المشرقة ، يفتحها لكى تنظر ساهمة إلى ظلام الليل البهيم ، وبدلاً من أن يريهم جمال الزهور المنثورة على وجه الأرض ، يملأ عقولهم بالتفكير فى قسوة المرض وضراوة الجراثيم !! وبدلاً من أن يوجه أفكارهم إلى غنى رحمة الله ، يذكرهم بالظروف السوداء التى تمر بهم فى موكب الزمن ، وهكذا يرسم صورة قاسية لله ، تزيد قلب الإنسان نفوراً ، وإحساسه قساوة وجموداً .

ويخطئ من يعتقد أن الله قد كره الإنسان بعد أن تمرد عليه ، وكسر وصيته ، فالحقيقة أن الله قد أبغض خطية الإنسان! ولاشك أن الله ملتزم أن يقف ضد الخطية ، لأن الخطية قد أتلفت أجمل مخلوقاته وهو الإنسان ، وأعمت عينيه عن أن يرى صلاحه العظيم ، وملأت بسمومها كل ينابيع كيانه ، وحملت إلى الموت والقبر الملايين الكثيرة من الناس ، وصنعت السلاسل التى تقيد بها النفوس !! ومن نبعها القذر قد فاض الحزن ، والألم، والصراخ ، والدماء ، والدموع ... فكيف يمكن لله أن يتعامل مع الخطية كأنها أمر زهيد ؟!

لقد كان عليه أن يظهر غضبه على الخطية ، فأغرقها بالطوفان فى أيام نوح ، وأحرقها بالنار فى أرض سدوم ، فظن

البشر أن الله يكرههم هم ، مع أنه يقيناً يكره الخطية التى لوثت حياتهم !!

وعندما جاء المسيح ومات على الصليب ، لم يأت ليثير الشفقة من نحونا فى قلب الله ، بل جاء لأن الله أحبنا ، وهذا ما يقرره بولس الرسول فى كلماته « لأن المسيح إذ كنا بعد ضعفاء ، مات فى الوقت المعين لأجل الفجار ، فإنه بالجهد يموت أحد لأجل بار . ربما لأجل الصالح يجسر أحد أيضاً أن يموت ولكن الله بين محبته لنا لأنه ونحن بعد خطاة مات المسيح لأجلنا » رو ٥ : ٦ – ٨ ومن يدرس الأصحاح الخامس من رسالة رومية يلاحظ أربع صفات للناس الذى أحبهم الله ، فهم « ضعفاء » ، «فجار » ، « خطاة » و « أعداء » ، ومع هذا كله يبين الله محبته لهم بموت المسيح على الصليب ، هذه التضحية الكبرى التى صورها يوحنا فى انجيله الذهبى قائلاً « لأنه هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكى لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية » يو ٣ : ١٦ ، ثم أراد أن يجعل المؤمنين يتعمقون فى بحرها الطامى فهتف لهم مردداً : « انظروا أية محبة أعطانا الآب حتى ندعى أولاد الله » ١ يو ٣ :١ أجل إنها محبة يصعب التعبير عنها بلغة البشر ... أظهرها لنا صليب المسيح الكريم !

حدثنا رجل من رجال الله فى بلاد الغرب ، عن قصة فتاة

اسمها «ماري» تركها والدها وهي طفلة ما زالت في المهد ، وكانت جميلة مشرقة الوجه ، كجمال الورد وإشراقه في وقت الربيع ... وكانت أمها فقيرة فقراً مدقعاً ، لكنها أحبت هذه الطفلة الجميلة وبدأت تكافح من أجلها في الحياة ، رضيت لنفسها أن تقوم بأحقر الأعمال حتى توفر العيش الهنئ لابنتها المحبوبة ، وكبرت الطفلة ، ونمت وترعرعت ، وسارت سيراً جميلاً في مراحلها الدراسية ، أنهت التعليم الابتدائي ، والثانوي ، والعالي ، وبدلاً من أن ترد الجميل للأم العجوز التي تعبت من أجلها ، وكافحت في سبيل تربيتها ؛ تدهورت تدهوراً شنيعاً جداً ، وهربت إلى مكان لا تعرفه أمها الحنون .

ولم تستطع الأم العجوز أن تنسى ابنتها ، كانت تحبها حباً ملك عليها مشاعرها ، أحبتها رغم تمردها وشرها وهربها ، وشرعت تفتش عنها في كل مكان تعتقد أنها ذهبت إليه ، وكان بحثها عن الابنة الضالة يكلفها مالاً ، فكانت تشتغل في تنظيف البيوت لتحصل على ما يكفيها للقيام برحلة للبحث عن ابنتها... ولكن جهودها ذهبت دون جدوى .. كان طيف ابنتها الشاردة يداعب خيالها أثناء النوم ، ويمر بذاكرتها وقت النهار . كانت تذكر طفولتها البيضاء وشبابها الجميل ، وأنوثتها المكتملة ، فتذوب شوقا إليها ، ويدفعها الحنين إلى أن تسعى في أرجاء البلاد للبحث عنها .

أعياها السفر ، وأتعبها البحث ، وأجهدها التفكير ، وأضناها ألم الفراق ، فتفتق ذهنها عن حيلة جديدة ، قدمت نفسها للخدمة فى عدة بيوت ، فلما اقتصدت مبلغاً كافياً ذهبتْ إلى مصور مشهور وطلبت منه أن يلتقط لها صورة وهى فى منظر المتوسلة الضارعة وأن يطبع لها من هذه الصورة اثنتى عشرة واحدة من حجم كبير يلفت الأنظار ، وأن يعطيها لخطاط يكتب تحت الصورة هذه العبارة « مازلت أحبك ياماري عودى إلىّ » .

أجاب المصور طلبها ، وسلمها الصور ، فقامت برحلات إلى كل مكان اعتقدت أن ابنتها قد تذهب إليه ، وتوسلت إلى أصحاب الملاهى والمراقص أن يضعوا صورتها هذه فى مكان ظاهر ، فقد تأتى مارى وتراها فتنكسر أمام حبها وتعود ... وأشفق أصحاب الملاهى على المرأة العجوز . ووضعوا صورتها فى مكان يلفت الأنظار .

وفى ليلة ما دخلت مارى إلى مرقص من هذه المراقص . كانت فى تلك اللحظة محطمة النفس ، ضعيفة الجسم فقد باعت نفسها للشيطان والخطية ، ولم تجن منها إلا الشوك والحسك . كان أصدقاؤها قد هجروها ، وكان المرض قد بدأ يدب فى جسدها ، وكانت نفسها قد استيقظت تطالبها بالتوبة والرجوع إلى أمها وإلى إلهها ، وكان ما يقض مضجعها هو : « هل تقبلها أمها فى البيت بعد أن هجرتها ؟ هل تصفح الأم المسكينة عن آثام ابنتها التى

ضلت سواء السبيل ؟ آه ! ليتها تستطيع أن تعود إنها بحاجة إلى صدر أمها الحنون ، وإلى قبلاتها الطاهرة ، وإلى كلماتها الرقيقة، وإلى غفرانها وصفحها ... لكن هل يمكن ؟ » .

دخلت إلى المرقص وهى تترنح من الألم ، واسترعى انتباهها جماعة من الناس يتطلعون فى صورة على الحائط ، فدفعها الفضول أن تتقدم لترى ، وظلت تقترب وتقترب حتى تبينت صورة أمها ، إنها هى ليس فى ذلك أدنى ريب ، لكن من الذى أتى بصورتها إلى هذا المكان ؟ من الذى وضعها فى هذا المكان الظاهر للعيان ؟ واستمرت الفتاة تتأمل الصورة المعلقة أمامها !! هل يمكن أن تكون هذه الصورة هى صورة لامرأة شبيهة بأمها ، آه ! ما هذه الكلمات المكتوبة تحت الصورة «مازلت أحبك ياماري عودى إلىّ » .

ولم تحتمل الفتاة أكثر فقد تحطم قلبها أمام محبة والدتها فأسرعت إلى المحطة وركبت أول قطار إلى مدينتها ، ودخلت لترتمى على صدر أمها وتطلب منها الصفح والغفران ... وقد غفرت الأم ! غفرت منذ خرجت الشاردة من بيتها .. غفرت وكانت تنتظر عودة ابنتها لتشعرها بهذا الغفران !!

وإذا كانت هذه الصورة ، صورة قوية للمحبة الغافرة ، فهى فى الواقع صورة باهتة إذا قيست بمحبة الله التى ظهرت فى الصليب فمحبة هذه الأم، هى محبة إنسان لإنسان ... أم

لابنتها... أما محبة الله ، فهى محبة الله الخالق ، لابن آدم الدود.. إنها يقيناً فائقة المعرفة.

يحدثنا مستر مودى المبشر المعروف بحادثة كان لها أكبر الأثر فى حياته ، ففى سنة ١٨٦٧ ، تقابل مودى مع مبشر ممتلئ بروح الله اسمه « هنرى مورهاوس » فى مدينة لندن ، كان مودى يعظ فى دار مرسلية ، وأصغى إليه « مورهاوس » خمس دقائق ، عرف منها أن مودى لا يعظ الكتاب ، وليس فى عظته من الكتاب إلا الآية ، وبعد الوعظ اتجه إليه وقال له بصراحة « يا مودى ، أنت غلطان ! لو أنك تعظ كلام الله لا كلامك أنت لصيرك الله قوة عظيمة ! واستاء مودى جداً من الملاحظة ، خصوصاً وقد كان يرى نفسه أعظم الواعظين !! لكن « مورهاوس » لم يتوقف عند هذا الحد فقد اتجه إلى شيكاغو ، وفى غياب مودى ألقى عظتين فى ليلتين متواليتين عن الآية الذهبية « لأنه هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكى لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية » يو ٣ : ١٦ واستمر يعظ عن هذه الآية سبع مرات ، وعاد مودى من غيابه ليجد جماهير غفيرة تأتى لتسمع الشاب الانجليزى الذى يعظ عن آية واحدة سبع عظات متوالية ، والذى لا يقسم الوعظ إلى أولاً وثانياً وثالثاً ورابعاً ، بل يأخذ الآية بكليتها ثم يغوص فى التوارة من سفر التكوين إلى سفر الرؤيا ليبرهن أن الله أحب العالم فى كل الأجيال.. وقال مودى فى نفسه وهو يسمعه «إنى لم

أعرف أن الله أحب العالم هكذا ، فابتدأ قلبى يخفق ولم أقدر أن أحجز دموعى المتهاطلة وقد كنت معتاداً أن أعظ : أن الله وراء الخاطئ حاملاً سيفاً ذا حدين ليضربه به ، ولكن من ذلك اليوم شرعت أعظ أن الله وراء الخاطئ بالمحبة ، وأن الله يركض والخاطئ أمامه يهرب من محبته !! »

وظل « مورهاوس » يعظ عن محبة الله بانياً كل حقيقة يقولها على أسس من الكتاب ومن الكتاب وحده ، وفى الليلة السابعة رقى المنبر ثم ردد هذه الكلمات « يا أصحابى ، لقد اجتهدت أن أجد آية جديدة أعظ عنها هذه الليلة ، فلم أجد أنسب من الآية القديمة « هكذا أحب الله العالم » ، وفى ختام عظته ذكر هذه العبارات : « أيها الأصحاب ، لقد قصدت خلال الأسبوع أن أخبركم كيف أحب الله العالم على أن ذلك متعذر علىّ بهذا اللسان القاصر ، ولو استطعت أن أرقى سلم يعقوب . وأسأل جبرائيل الواقف فى حضرة القدوس عن مقدار محبة الله للبشر، لكان ما يقدر أن يقوله : « هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكى لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية ، أجل : هناك فوق الجلجثة ، تكلم الله للناس ، لا فى لغة يونانية ، ولا فى لغة لاتينية ، ولا فى لغة عبرانية بل فى لغة «البذل والتضحية » أنه أحب العالم المتمرد المسكين !!

٤ - الصليب كان قضاءً إلهياً لأن الله اشترى به الإنسان وأعاده إلى ملكيته :

يصف الرسول بولس نفسه قبل أن يقترب إلى الصليب

قائلاً « وأما أنا فجسد مبيع تحت الخطية » رو ٧ : ١٤ ، ويقول إيليا النبى لآخاب الذى أعماه الطمع حتى قتل نابوت اليزرعيلى ليستولى على حقله « وجدتك لأنك قد بعت نفسك لعمل الشر » ١ مل ٢١ : ٢٠ ، هذه الكلمات تنطبق على الإنسانية جمعاء لأن «الرب من السماء أشرف على بنى البشر لينظر هل من فاهم طالب الله الكل زاغوا معا فسدوا ليس من يعمل صلاحاً ليس ولا واحد » مزمور ١٣ : ٢ ، ٣ ، « لأنه لا فرق إذ الجميع أخطأوا وأعوزهم مجد الله » رو ٣ : ٢٢ ، ٢٣ ، فالبشر فى الموازين هم إلى فوق ، والعالم قد اشتراه الشيطان مجاناً بخداعه ومكره ، كما يقول الله لإسرائيل المرتد « مجاناً بعتم » إش ٥٢ : ٣ .

وإذاً فلابد أن يشترى الله من جديد الخليقة التى باعت نفسها للشيطان ، ورضيت بعبوديته ... فأى ثمن يدفعه لشراء الإنسان ؟ ! يقول بطرس « عالمين أنكم أفتديتم لا بأشياء تفنى بفضة أو ذهب من سيرتكم الباطلة التى تقلدتموها من الآباء . بل بدم كريم كما من حمل بلا عيب ولا دنس دم المسيح » ١بط١ : ١٨ ، ١٩ وفى سفر الرؤيا نسمع هتاف المفديين « وهم يترنمون ترنيمة جديدة قائلين مستحق أنت أن تأخذ السفر وتفتح ختومه لأنك ذبحت واشتريتنا لله بدمك من كل قبيلة ولسان وشعب وأمة» رؤ ٥ : ٩ ونحن نقرأ فى سفر اللاويين عن شريعة الفكاك ، أى إعادة الشئ المباع بشرائه من جديد ونرى أروع منظر للفكاك

فى الأصحاح الخامس والعشرين فى هذه الكلمات «وإذا طالت يد غريب أو نزيل عندك وافتقر أخوك عنده وبيع للغريب المستوطن عندك أو لنسل عشيرة الغريب . فبعد بيعه يكون له فكاك يفكه واحد من إخوته ، أو يفكه عمه أو ابن عمه أو يفكه واحد من أقرباء جسده من عشيرته» لاويين ٢٥ : ٤٧ - ٤٩ ، ومن هذه الآيات نلاحظ أن من يرد الإنسان الذى بيع للغريب يشترط فيه ثلاثة شروط :

(١) أن يكون قريباً للشخص المباع .

(٢) أن تكون له إرادة للفكاك .

(٣) أن يكون بيده الثمن ، وهذا ينطبق تماماً على ما عمله الرب يسوع فقد اشترك معنا فى اللحم والدم ليعتقنا من إبليس الغريب كما يقول كاتب العبرانيين «فإذ قد تشارك الأولاد فى اللحم والدم اشترك هو أيضاً كذلك فيهما لكى يبيد بالموت ذاك الذى له سلطان الموت أى إبليس ويعتق أولئك الذين خوفاً من الموت كانوا جميعاً كل حياتهم تحت العبودية» عب ٢ : ١٤؛ وكذلك رضى طوعاً واختياراً أن يضع نفسه عنا لكى يشترينا من جديد لله أبيه كما قرر هو بذاته قائلاً «ليس لأحد حب أعظم من هذا أن يضع أحد نفسه لأجل أحبائه» ، «لهذا يحبنى الآب لأنى أضع نفسى لآخذها أيضاً . ليس أحد يأخذ منى بل أضعها أنا من ذاتى . لى سلطان أن أضعها ولى سلطان أن

آخذها أيضاً، يو ١٠ : ١٧ ، ١٨ وفوق هذا فقد دفع الثمن العظيم الذى يفك به الإنسان المستعبد الضعيف وهو دمه ، ولم يكن فى مقدور أحد غيره أن يدفع هذا الثمن كما يؤكد ذلك المزمور القائل ، الأخ لن يفدى الإنسان فداء ولا يعطى الله كفارة عنه وكريمة هى فدية نفوسهم فغلقت إلى الدهر ، مز ٤٩ : ٧ ، ٨ ، فأين هى هذه الفدية الكريمة التى يستطيع الإنسان دفعها ؟ إنها ليست شيئاً !! إنه شخص المسيح الكريم الذى قال لتلاميذه ، إن ابن الإنسان لم يأت ليُخدم بل ليخدم وليبذل نفسه فدية عن كثيرين ، مت ٢٠ : ٢٨ ، أجل إنه دفع الثمن ، وفك العبد البائس الفقير !! وكان هذا الثمن هو موته على الصليب ولذا فليس بعجيب أن يرنم له إنسان أحس بفضله :

كنت فى سجن الخطايا عبد إبليس الرجيم
غير مأمول خلاصى ثم نجانى الرحيم
واشترانى واشترانى ذاك بالدم الكريم

*****

لم يفِ بالمال دينى ذلك الفادى العظيم
بل فدانى بدماه من عذابات الجحيم
واشترانى واشترانى ذاك بالدم الكريم

٥ - الصليب كان قضاءً إلهياً لأنه نقض أعمال الشيطان وأكد هزيمته :

يكتب يوحنا الحبيب فى نغمة تحوى كل عناصر الظفر

والانتصار كلماته الحلوة ، لأجل هذا أظهر ابن الله لكى ينقض أعمال إبليس ، ١ يو ٣ : ٨ ، وأعمال إبليس كلها للخراب ، والافساد والتدمير ، فقد جرب العائلة البشرية الأولى وقادها إلى الخراب ، واستعبد الإنسان الضعيف ولوث صفحة حياته بأقذر الخطايا ، وأشنع الموبقات ، ثم أحدره إلى الموت فى أرض السكوت لأنه قد أخذ بإسقاطة للإنسان هذا السلطان !!

، ولكن لما جاء ملء الزمان أرسل الله ابنه مولوداً من امرأة مولوداً تحت الناموس ليفتدى الذين تحت الناموس لننال التبنى، غلا ٤ : ٤ وكانت أول معركة دخل فيها المسيح مع الشيطان فى حرب سافرة هى معركة البرية ، حين حاول الشيطان أن يسقط ،يسوع ، فى ثلاث تجارب شديدة ، هى التجارب التى يمر بها كل إنسان ، وكانت التجربة الأولى التى قدمها ليسوع ، تجربة موجهة لغريزة حب الحياة ، وكانت التجربة الثانية موجهة لغريزة حب السيادة ، وكانت التجربة الثالثة موجهة لغريزة حب الامتلاك ، لكن ، يسوع ، انتصر فى التجارب الثلاث ، وكانت هذه أول هزيمة علنية أصابت الشيطان.

ويلذ لنا فى هذه المناسبة أن نقارن بين تجربة ، آدم الأول ، وتجربة ، آدم الأخير ، ، فآدم الأول جرب فى جنة ولكنه سقط فتحولت الأرض بسببه إلى برية جرداء ، و، آدم الأخير يسوع المسيح ، جرب فى البرية الجرداء ، فانتصر نصرة عظمى، وفتح للبشر الطريق إلى السماء .

لكن المعركة الحاسمة التى نقض فيها المسيح أعمال الشيطان وأكد فيها هزيمته النكراء ، هى معركة الصليب ، فقد ظن الشيطان أن الصليب هونهاية الصراع بينه وبين المسيح ، وصفق مجمع الأبالسة فى زهو وفخار ، يوم رأوا يسوع المسيح معلقاً بين الأرض والسماء ، لكن المسيح حول الصليب إلى سيف حاد ودحر به قوات الظلام ، كما يقول كاتب العبرانيين « فإذ قد تشارك الأولاد فى اللحم والدم اشترك هو أيضاً كذلك فيهما لكى يبيد بالموت ذاك الذى له سلطان الموت أى إبليس » عب ٢ : ١٤ ، وكما يقرر ذلك رسول الأمم فى رسالته إلى أهل كولوسى قائلاً « وإذ كنتم أمواتاً فى الخطايا وغلف جسدكم أحياكم معه مسامحاً لكم بجميع الخطايا . إذ محا الصك الذى علينا فى الفرائض الذى كان ضداً لنا ، وقد رفعه من الوسط مسمراً إياه بالصليب . إذ جرد الرياسات والسلاطين أشهرهم جهاراً ظافراً بهم فيه » كولوسى ٢ : ٣ – ١٥ ، وليس شك فى أن الرياسات والسلاطين الذين جردهم المسيح من سلاحهم ، شهر بهم ، وظفر بهم فى الصليب، هم الذين ذكرهم الرسول حين قال «فإن مصارعتنا ليست مع دم ولحم بل مع الرؤساء ، مع السلاطين مع ولاة العالم على ظلمة هذا الدهر مع أجناد الشر الروحية فى السماويات » أفسس ٦ : ١٢ هؤلاء جميعا جردهم يسوع من سلاحهم البتار ، وأعلن هزيمتهم العظمى أمام الجميع ، إذ هزم رئيسهم الأكبر الذى له سلطان الموت فى معركة الصليب، وحرر البشر من عبوديته إلى التمام ، وهذه هى الصورة التى يرسمها

بولس فى كلماته إلى القديسين فى أفسس قائلاً ، وأنتم إذ كنتم أمواتاً بالذنوب والخطايا التى سلكتم فيها قبلاً حسب دهر هذا العالم حسب رئيس سلطان الهواء الروح الذى يعمل الآن فى أبناء المعصية الذين نحن جميعا تصرفنا قبلاً بينهم فى شهوات جسدنا عاملين مشيئات الجسد والأفكار وكنا بالطبيعة أبناء الغضب كالباقين أيضا. الله هو غنى فى الرحمة من أجل محبته الكثيرة التى أحبنا بها ونحن أموات بالخطايا أحيانا مع المسيح. بالنعمة أنتم مخلصون، وأقامنا معه ، وأجلسنا معه فى السماويات فى المسيح يسوع ، أفسس ٢ : ١ – ٦ .

يقينا ، أن محبة الله الظاهرة فى الصليب ، قد حررت من الأسر الأسير ، وبقوة الصليب يعطى يسوع النصرة على الشيطان لكل من يؤمن به كما يقول يوحنا فى رؤياه عن الغالبين ،وهم غلبوه بدم الخروف وبكلمة شهادتهم ولم يحبوا حياتهم حتى الموت ، رؤ ١٢ : ١١ وكما يكتب للمؤمنين الأحداث فى رسالته قائلا ، كتبت إليكم أيها الأحداث لأنكم أقوياء وكلمة الله ثابتة فيكم وقد غلبتم الشرير ، ١ يو ٢ : ١٤ ، أنتم من الله أيها الأولاد وقد غلبتموهم لأن الذى فيكم أعظم من الذى فى العالم ، ١ يو ٤ : ٤ ، لقد أكد السيد نصرته العظمى على الشيطان فى قوله ،رأيت الشيطان ساقطاً مثل البرق من السماء ، لو ١٠ : ١٨ ، وفى قوله ، الآن يطرح رئيس هذا العالم خارجاً ، يو ١٢ : ٣١ ،

أجل لقد استطاع يسوع أن ينتصر على الشيطان لأنه لم يكن ملكاً له ولا كان تحت سلطان حكمه ، وقد أكد ذلك لتلاميذه قائلا «رئيس هذا العالم يأتى وليس له فىّ شئ» يو ١٤ : ٣٠ وقد تمت نصرته بالصليب الذى نقض به أعمال الشيطان ، وأكد هزيمته ، ونحن نرى ذلك واضحا من مقارنة ملذة بين سفر التكوين وسفر الرؤيا ، سفر البدايات ، وسفر النهايات .

ففى سفر التكوين نرى كيف خلق الله السماء والأرض ، وكيف ضربت الأرض باللعنه بسبب خطية الإنسان ، وفى سفر الرؤيا نرى السماء الجديدة والأرض الجديدة وقد خلت من كل لعنة وحزن وشقاء .

فى سفر التكوين نرى الجنة الأرضية ، وفيها شجرة الحياة ، ونهر البركات . وقد فقدها الإنسان الأول بالعصيان ، وفى سفر الرؤيا نرى فردوس الله ، وشجرة الحياة ، والنهر النقى كالبللور خارجا من عرش الله والمسيح أو بعبارة أخرى نرى الفردوس المردود بواسطة كفارة الصليب .

فى سفر التكوين نرى أول رمز للحمل المذبوح ، وفى سفر الرؤيا نرى الحمل الذى ذبح قائماً فى وسط العرش .

فى سفر التكوين نقرأ عن بداية الخطية ، حينما دخلت الحية إلى الجنة الهادئة الوادعة لتخدع بمكرها الإنسان ، وفى سفر الرؤيا نجد الحية القديمة المدعو إبليس والشيطان وقد طرح فى

بحيرة النار.

فى سفر التكوين نجد القاتل الأول ، ونجد أول من مارس تعدد الزوجات ، ونجد المتمرد الأول ، والسكير الأول ، وفى سفر الرؤيا نرى أمثال هؤلاء ونصيبهم البحيرة المتقدة بنار وكبريت .

فى سفر التكوين نشاهد قيام بابل ، وفى سفر الرؤيا يدعونا الله أن نرى دينونتها وهلاكها .

فى سفر التكوين نرى مدينة الإنسان ، وفى سفر الرؤيا نرى مدينة الله .

فى سفر التكوين نرى الإنسان غارقا فى الدم ، والألم ، والدموع يطارده الموت أينما كان ، ولكن سفر الرؤيا لا يختتم إلا بعد أن نرى الله المحب ، وهو يمسح كل دمعة من العيون ، ويرحب بكل مفدى بالدم ، فى مدينته التى لا يمكن أن يدخلها الموت والخطية والألم ، والحزن ، والعذاب .

فى سفر التكوين نرى أول مملكة للعالم وقد حل بها التبلبل والشقاق ، وفى سفر الرؤيا نسمع الهتاف الداوى « قد صارت ممالك العالم لربنا ولمسيحه » .

فى سفر التكوين نرى نصرة الشيطان على الإنسان ، وفى سفر الرؤيا نرى نصرة الله على الشيطان ... وهذه النصرة جاءت عن طريق موت المسيح على الصليب . وهكذا بالصليب نقض

الله أعمال الشيطان وأكد هزيمته وأتم برنامجه الرائع الذى قصده للإنسان.

٦ - الصليب كان قضاءً إلهياً لأنه الواسطة التى صالح بها الله خليقته ،

قال أيوب فى عمق بلواه وهو يتحدث عن إحساسه من نحو اللهّ ، لأنه ليس هو إنساناً مثلى فأجاوبه فنأتى جميعاً إلى المحاكمة . ليس بيننا مصالح يضع يده على كلينا ، أيوب ٩ : ٣٢ . ٣٣ ، وكأن أيوب وهو يفكر فى جلال الله ، وقداسته ، يحس بأنه كإنسان خاطئ لا يستطيع الاقتراب إليه فيتمنى أن يأتى ذلك المصالح الذى يضع يده على يد الله ، ويضعها كذلك على يده ويصالحه مع الله ، ولاشك أن الشخص الذى تاق أيوب إلى مجيئه ، لابد أن يكون إلهاً كاملاً ليضع يده على يد الله ، وإنساناً كاملاً ليضع يده على يد الإنسان ، أى أن يكون وسيطاً إلهياً يصالح الإنسان مع الله !!

ولقد جاء هذا المصالح ، ومات على الصليب ، وتحدث عنه بولس قائلا ، ولكن الكل من الله الذى صالحنا لنفسه بيسوع المسيح وأعطانا خدمة المصالحة أى أن الله كان فى المسيح مصالحاً العالم لنفسه غير حاسب لهم خطاياهم وواضعا فينا كلمة المصالح . إذا نسعى كسفراء عن المسيح كأن الله يعظ بنا . نطلب عن المسيح تصالحوا مع الله لأنه جعل الذى لم يعرف خطية،

خطية لأجلنا لنصير نحن بر الله فيه » ٢ كو ٥ : ١٨ – ٢١ ،
وقد يتبادر إلى الذهن أن المسيح بموته على الصليب قد أزال
العداوة التى فى قلب الله من نحو البشر ، وقرب الله إلى الناس ،
وهذا فكر خاطئ من أساسه ذلك لأن « الله محبة » وهو لم
يبغض خليقته فى يوم من الأيام ، ولم يشعر نحوها قط بإحساس
العداء ، ولكنه قد أبغض الخطية لأنه يعرف ما عملته بالجنس
البشرى ، وكيف خربت حياة الناس وقادتهم إلى البوار ، ولهذا
فإنه عندما يرى الناس متمسكين بالخطية رغم تحذيره لهم فهو
لا يسعه إلا أن يبكى عليهم ، وهو يرى أن الخطية ستقودهم إلى
الهلاك الأبدى !! وموقف السيد له المجد وهو يمر على مدينة
أورشليم قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين اليها ، يرسم لنا صورة
واضحة للمحبة الباكية ، التى ترى عناد البشرية ، وترى النهاية
المريعة الآتية كنتيجة لهذا العناد فلا يسعها إلا أن تبكى ، وهذا
هو ما نقرأه فى إنجيل لوقا « وفيما هو يقترب نظر إلى المدينة
وبكى عليها . قائلاً إنك لو علمت أيضاً حتى فى يومك هذا ما
هو لسلامك . ولكن الآن قد أخفى عن عينيك . فإنه ستأتى أيام
ويحيط بك أعداؤك بمترسة ويحدقون بك ويحاصرونك من كل
جهة ويهدمونك وبنيك فيك ولا يتركون فيك حجراً على حجر
لأنك لم تعرفى زمان افتقادك » لو ١٩ : ٤١ – ٤٤ . فهذه
الدموع التى ذرفها المسيح على المدينة التى لم تعرف زمان
افتقادها هى دموع المحبة الباكية على الخاطئ المسكين الذى لا

يعرف نهايته المفزعة ، فالله يحب الخاطئ ، ويكره الخطية ، ولكن الإنسان يحب الخطية ، ويقف موقف العداء من الله حتى أنه يقول له فى تبجحه « أبعد عنا وبمعرفة طرقك لا نسر » .

لهذا جاء الله المحب فى المسيح ، ليعلن للناس عواطف قلبه، حتى إذا رأى الناس هذا الحب الإلهى وقد تمثل فى صورة بشر ، وتحمل لأجلهم الألم والعذاب ، ومات موت الصليب ، تزول العداوة التى فى قلوبهم من نحو الله فيسعون للاقتراب إليه.

وجدير بنا أن نلاحظ أن الإنسان لم يسع من جانبه لمصالحة الله بل أن الله هو الذى « كان فى المسيح مصالحاً العالم لنفسه غير حاسب لهم خطاياهم » .

سأل أحدهم مستر جرينفلد : هل تقدر أن تخبرنى عن السبب الذى من أجله دعى يسوع المسيح كلمة الله ؟ أجاب مستر جرينفلد قائلا : أظن أنه كما أن الكلمات هى واسطة التفاهم بين الناس ، استعمل الوحى الإلهى هذا التعبير ليوضح لنا بأن المسيح هو واسطة التفاهم بين الله والناس ! « لأنه يوجد إله واحد ووسيط واحد بين الله والناس الإنسان يسوع المسيح الذى بذل نفسه فدية لأجل الجميع » ١ تى ٢ : ٥ يقيناً أنه لأجل مصالحتنا مع الله جاء يسوع ومات على الصليب .

وقد حدثنا دكتور « جويلبويد » عن رجل عّذب زوجته

عذاباً شديداً قبل تجديده ، فلما تجدد كان أول ما نطق به بعد عبارات الشكر لله أن قال « الآن على أن أذهب لمصالحة زوجتى » ، لقد ذاب العداء الذى فى قلبه من نحو زوجته ، وأحس أنه يجب أن يعود للاعتذار لها عن ما بدر منه فى حقها!! وهذا هو المعنى المقصود بالمصالحة مع الله ، ففى اللحظة التى يرى فيها الإنسان آلام المسيح المصلوب ، يذوب العداء الذى فى قلبه ضد الله ويسرع إلى المصالحة معه ، معترفاً له بخطيته ، وعازماً أن يعيش الحياة التى ترضيه ، ويبدو هذا المعنى واضحاً فى كلمات الرسول التى وجهها إلى القديسين والإخوة فى كولوسى قائلاً : « لأنه فيه سر أن يحل كل الملء . وأن يصالح به الكل لنفسه عاملاً الصلح بدم صليبه بواسطته سواء كان ما على الأرض أم ما فى السموات وأنتم الذين كنتم قبلاً أجنبيين وأعداء فى الفكر فى الأعمال الشريرة قد صالحكم الآن فى جسم بشريته بالموت » كو ١ : ١٩ – ٢١ .

ثم يوضح غرض هذه المصالحة العظمى قائلاً « ليحضركم قديسين وبلا لوم ولاشكوى أمامه » كو ١ : ٢٢ فالمصالحة إذا تعنى وجهين : الوجه الأول : هو إزالة العداء من قلب الإنسان ، الوجه الثانى : هو تغيير حياة الإنسان من الأعمال الشريرة ، إلى الحياة التى بلا لوم ولا شكوى أمامه بما يتفق مع قداسة الله ، وهكذا يتمتع الإنسان بالسلام مع الله ، ويضم صوته إلى صوت بولس قائلاً : « لأنه إن كنا ونحن أعداء قد صولحنا مع الله

بموت ابنه فبالأولى كثيراً ونحن مصالحون نخلص بحياته .
وليس ذلك فقط بل نفتخر أيضا بالله بربنا يسوع المسيح الذى نلنا به الآن المصالحة ، رو ٥ : ١٠ ، ١١ وفى ذات الوقت فأن هذه المصالحة تحمل معنى ثالثاً : هو وجود السلام بين اليهود والأمم كما يقول الرسول : ، لذلك أذكروا أنكم أنتم الأمم قبلاً فى الجسد المدعوين غرلة من المدعو ختاناً مصنوعاً باليد فى الجسد أنكم كنتم فى ذلك الوقت بدون مسيح أجنبيين عن رعوية إسرائيل وغرباء عن عهود الموعد لا رجاء لكم وبلا إله فى العالم ولكن الآن فى المسيح يسوع أنتم الذين كنتم قبلاً بعيدين صرتم قريبين بدم المسيح ، لأنه هو سلامنا الذى جعل الاثنين واحداً ونقض حائط السياج المتوسط أى العداوة مبطلاً بجسده ناموس الوصايا فى فرائض لكى يخلق الاثنين فى نفسه إنساناً واحداً جديداً . صانعاً سلاماً ويصالح الاثنين فى جسد واحد مع الله بالصليب قاتلاً العداوه به ، أفسس ٢ : ١١ – ١٦ .

فالمسيح بموته على الصليب قد جعل اليهود والأمم واحداً ليس بجعله اليهودى أممياً أو الأممى يهودياً ، بل بأن أنسى اليهودى يهوديته وأنسى الأممى أمميته وصار الاثنان يذكران أنهما مسيحيان قبل كل شئ ، وفوق كل شئ ، ويقول رجل من رجال الله فى تفسيره لهذه الآيات ، لسنا ندرى هل وجدت بين العوامل الطبيعية مادة تصهر معدنين متباينين فتصيغ منهما معدناً واحداً ، لكننا نعلم علم اليقين أن المسيح قد استطاع بدمه

الثمين أن يصوغ من اليهود والأمم – الذى لا يقبلان تمازجاً بطبيعتهما – معدناً واحداً صافياً ، إذا أمعنت النظر فيه ألفيته عنصراً واحداً ، لكن السيد عمل هذا بنقضه لحائط السياج المتوسط الذى كان بين اليهود والأمم ، ولكى نفهم المراد من هذه العبارة ، يجب أن نرجع بأفكارنا إلى الحالة التى كان عليها الهيكل وقت كتابة هذه الكلمات ، فمن المسلم به أن هيرودس الأكبر أضاف إلى الهيكل قطعة فسيحة من الأرض كانت مؤلفة من دار متداخلة فى دار ، حتى تصل إلى القدس ، ومنه إلى قدس الأقداس ، وكانت كل دار تزيد فى درجة ، القدسية ، عن الدار الخارجة عنها ، حتى تنتهى إلى قدس الأقداس ، الذى لا يسمح بدخوله إلا لرئيس الكهنة وحده ، مرة واحدة فى السنة ، وأما القدس فكان يسمح للكاهن بدخوله يومياً ليحرق البخور على مذبح المحرقة وقت تقديم ذبيحتى الصباح والمساء ، وكانت تقدم هاتان الذبيحتان فى دار الكهنة على مذبح المحرقة ، وخارج هذه الدار ، داران أخريان : أحدهما ، وهى الملاصقة لدار الكهنة مباشرة تسمى ، دار بنى إسرائيل ، والثانية ، وهى خارج الأولى شرقاً تسمى ، دار النساء ، ... كل هذه الأمكنة ، قدس الأقداس ، والقدس ، ودار الكهنة ، ودار بنى إسرائيل ، ودار النساء ، كانت مقامة على مستوى عال حساً ومعنى ، ينتهى فى عدة مواضع منه إلى خمس درجات تؤدى إلى أبواب مفتوحة فى جدار مرتفع، تتصل به منصة ضيقة تشرف على دار خارجية فسيحة، وهذه الدار الخارجية كانت مخصصة للأمميين الذين

يريدون أن يجتلوا محاسن أمجاد هيكل اليهود ، أو أن يقدموا ذبائح وتقدمات لإله إسرائيل ، ولكن لم يكن مسموحاً لهم بحال أن يتخطوا هذا « الحائط » الذى كان يفصل هذه الدار عن الهيكل وكل من تحدثه نفسه باقتحام ذلك الحائط يقع تحت طائلة الإعدام ، ومبالغة فى التحوط ، لمنع الأمم من أن يمسوا الجدار المرتفع ذا الأبواب أقام اليهود حائط سياج منحوتاً من حجر، مطوقاً أبنية الهيكل ، يبلغ ارتفاعه نحو خمسة أقدام، هذا هو حائط السياج المتوسط الذى قصده بولس وحدثنا عنه يوسيفوس فى «سفر الآثار» وحائط السياج المتوسط هذا لم يكن موجوداً فى الهيكل فقط، بل كان قائماً فى قلوب اليهود فمنع دخول الأمم إليهم، لكنه زال منذ أن أنشق حجاب الهيكل والمسيح معلق على الصليب، وهكذا تصالح اليهود والأمم فى صليب المسيح، وصارا إنساناً واحداً جديداً . رمز للإنسانية الجديدة الموحدة التى لا مجال فيها للخلاف الذى توجده الجنسية، ولا للعداء الذى يسببه اللون، ولا للمشاحنة التى يولدها المذهب، ومن ثم صالح المسيح الاثنين اليهود والأمم–بعد أن أزال علة عداوتهما–وهو ناموس الوصايا فى فرائض، أى الناموس الطقسى الذى أقام منه اليهود سوراً منيعاً فصل بينهم وبين الأمم، فاليهود كانوا يتورعون عن أن يمسوا شيئاً فى الأسواق العامة متى علموا أن يداً أممية مسته لئلا يتنجسوا، وكانوا يأنفون أن يأكلوا على مائدة واحدة مع شخص أممى لئلا يتلوثوا، فجعلوا من هذه الفرائض حصناً منيعاً تحصنوا وراءه ضد الأمم، فامتلأت قلوبهم بالعداء لهم » .

وقد أزال المسيح بموته على الصليب هذا الناموس الطقسى ، ثم صالح الاثنين مع الله بالصليب قاتلاً العداوة به !! ومن يستطيع أن يعى معنى هذه المصالحة الكبرى ولا يرقص قلبه طرباً .

يحدثنا دكتور سكوفيلد فى إحدى عظاته عن حادثة مؤثرة حدثت فى حياة تشارلس فنى ! كان فنى يعقد سلسلة اجتماعات، وفى ختام أحدها جاءه رجل ترتسم عليه علائم الشقاء ، وصافحه ورجاه أن يزوره فى بيته ، لكن أحد الأصدقاء نصح فنى أن لا يذهب لأن الرجل شرير خطير ، لكنّ « فنى » عزم على أن يبر بوعده . وذهب مع الرجل حتى وصلا إلى البيت ، ففتح الرجل الباب وأدخل مستر فنى ، ثم أغلق الباب بالمزلاج ، وأخرج « مسدساً » من جيبه وأشهره فى وجه « فنى » وقال : قتلت أربعة بهذا « المسدس » وأنت ستكون الخامس إن لم تعطنى إجابة شافية عن أشياء سأسألك عنها :

١ – قتلت فى شرى وإثمى أربعة رجال ، وقد مر الوقت الذى يستطيع القانون أن يحاكمنى فيه ، لكن ضميرى ثائر علىّ! فهل من علاج ؟ أجابه مستر فنى قائلاً «دم يسوع المسيح يطهر من كل خطية» .

٢ – إنى أدير حانة ، قدت الكثيرين من الذين دخلوها إلى البؤس والشقاء ، وأنزلت بالكثيرين منهم الخراب والدمار ، فمن نجا بثيابه لم ينج بصحته . فهل من علاج ؟ فأجابه مستر فنى

قائلا ، دم يسوع المسيح يطهر من كل خطية ، .

٣ – فى حانتى مكان للقمار ، صفت فيه الموائد الخضراء للمقامرين المغرورين . فمن خرج ببعض المال من حانة الخمر ، سلبته منه على موائد القمار . فهل من علاج ؟ قال فنى : ، دم يسوع المسيح يطهر من كل خطية ، .

٤ – وتابع الرجل حديثه قائلاً : ، منذ ثلاث عشرة سنة تزوجت من امرأة فاضلة رزقت منها ابنة عمرها الآن إحدى عشرة سنة اسمها ، مرجريت ، وأنزلت بزوجتى وابنتى أقسى أنواع العذاب ! وقد خدعت زوجتى قبل الزواج موهما إياها بأننى وكيل لإحدى الشركات ! فهل من علاج؟ وأجاب فنى ،دم يسوع المسيح يطهر من كل خطية ، .

٥ – وسكت الرجل لحظة ثم عاد يقول: هناك سؤالاً أخير يامستر فنى، أشعر بعد أن سمعت كلامك بأننى يجب أن أتصالح مع الله، وأخرج العداء الذى فى قلبى من نحوه! فهل من علاج؟

وأجاب فنى : ، دم يسوع المسيح يطهر من كل خطيّة ، .

مد المجرم الخطير يده وهز يد فنى مصافحاً ، وفتح له الباب للخروج.

وفى الصباح الباكر رؤى ذلك الرجل ، وهو يحطم المرايا ، والزجاجات ، وموائد القمار ، ويعلن أنه أغلق حانته الرهيبة إلى

الأبد ... ثم يتجه إلى بيته ليعتذر لزوجته عن ما سببه لها من آلام ! ومن ذلك الوقت صار بيته جنة فيحاء وامتلأقلب زوجته بالهناء ، وضاع كل احساس بالخوف وكل شعور بالشقاء من قلب ابنته التى كانت جميلة كالزهرة البيضاء ! وتصالح الرجل مع الله ... وأصلح صلاته مع الناس . وكل ذلك حدث بقوة الصليب، الذى صالح به الله خليقته .

٧ - الصليب كان قضاءً إلهياً لأنه أظهر للإنسان حقيقة قيمته وأوضح له أسرار حياته :

وقف داود فوق مراعى الأرض المقدسة يتطلع إلى الشمس والكواكب والنجوم التى خلقها الله، وإذ غمره الشعور بالجمال والجلال هتف مردداً « أيها الرب سيدنا ما أمجد اسمك فى كل الأرض حيث جعلت جلالك فوق السموات... إذا أرى سمواتك عمل أصابعك القمر والنجوم التى كونتها فمن هو الإنسان حتى تذكره وابن آدم حتى تفتقده ؟ » مز ٨ : ١ ، ٣ ، ٤ .

وسؤال داود الذى نطق به وهو يتأمل جلال السموات كثيراً ما يخطر على بال الإنسان وهو يشعر بحقارة نفسه إزاء هذا الكون العظيم ، فأرضنا تحمل على سطحها أكثر من بليونين وربع بليون إنسان ، يموت منهم ٥٠ مليوناً كل سنة ، أو ١٣٦و٩٨٦ كل يوم ، أو ٥٧٠٧ كل ساعة ، أو ٩٥ شخصا كل دقيقة ! فما قيمة الفرد فى هذا العدد العديد ؟ أجل ! من هو

الإنسان الواحد وسط هذه البلايين ؟ .

ثم لنأت إلى الإنسان فى صفاته ! من هو ؟ إنه مجموعة من المتناقضات والنقصات ، ففيه ضراوة الأسد ، ومكر الثعلب ، ونعومة الحية ، كبرياء الطاووس ، وغباء الحمار ، ووحشية النمر وهو فى شره وانحطاطه .. وفيه النقاء ، والصفاء ، والحب ، والوفاء ، عندما يتجدد قلبه ويقترب إلى الله ! ولقد وصفه أحد رجال الله فقال : « إن حياة الإنسان مليئة بالأنهار والبحار ، والكهوف والوديان ، والجبال والسهول ، والنسيم والعواصف ، فميوله أنهاره ، ومطامحة بحاره ، وأسراره كهوفه ، ومعاناته وديانه وعزائمه جباله ، وأمانية سهوله ، وخياله نسيمه ، وعواطفه عواصفه ، فهو أكثر المخلوقات تعقيداً فى شخصيته .

والآن ! من هو الإنسان بالنسبه للنظام الشمسى الذى يحيط به فى روعة وإبداع !!

قص علينا خادم وقور قصة عن عالم جليل تحدث إلى رجل غنى مغرور أراد أن يريه حقيقة نفسه فقال : « دعنى أريك حقيقتك أيها الرجل الغنى ! بين الأكوان العظيمة التى خلقها الله يوجد شئ اسمه « المجرة » أى النظام الشمس وفى « المجرة » توجد بقعة سوداء صغيرة اسمها الأرض ، وعلى الأرض يعيش ملايين من ذرات الكربون الحقيرة القذرة اسمهم البشر . فيا صاحبى أنت ذرة كربون حقيرة قذرة » هذا هو الإنسان بالقياس إلى ما يحيط به من عوالم وأكوان ، وهو إذ تصدمه هذه الحقيقة

كثيراً ما يرفع عينيه إلى الأعالى ويقول : أحقا يهتم بى الله أنا المخلوق التافه الضعيف ؟!

والجواب الشافى عن قيمة الإنسان لا نجده إلا فى الصليب ، إذ هناك يستطيع شخص نظير بولس الذى كان قبلاً مجدفاً ومضطهداً ومفتريا أن يهتف ولهيب الحب يهز عواطفه ، إذ يرى المسيح معلقاً على الصليب قائلاً « ابن الله الذى أحبنى وأسلم نفسه لأجلى » غلا ٢ : ٢٩ وإذا كان ابن الله قد أسلم نفسه لأجل الإنسان ، فقيمة الإنسان إذاً عظيمة بهذا المقدار .

حدثنا رجل جليل من رجال الله عن شخص عاش عيشة التشرد ، وسار تقذفه مدينة وتتلقاه أخرى ، وانتهى به المطاف إلى مدينة « لومبارديا » حيث أصيب بمرض خطير وحملوه إلى المستشفى العام ، وهناك أحاط به الأطباء وفحصوه ، ثم قال بعضهم لبعض بلغة علمية صعبة « دعونا نجرى عملية لهذا المخلوق التافه الوضيع » ولم يخطر ببالهم أن يفهم الرجل المريض كلماتهم ، فهو فى نظرهم متشرد جاهل وضيع !! لكن الرجل المريض رفع عينيه إلى من أحاط به من أطباء وقال : «كيف تقولون عن شخص مات المسيح من أجله أنه مخلوق تافه وضيع » .

وحقا!! أن شخصا مات المسيح لأجله، هو أعظم من كل

العوالم وأضخم من كل كوكب يدور فى الأفلاك، بل أعلى من السماء .

لكن سؤالاً يخطر ببالنا حين نصل إلى هذا الحق الجميل هو: إذا كان الإنسان كريماً ، ثميناً بهذا المقدار الذى كلف الله بذل ابنه الوحيد لأجله على الصليب : فلماذا يسمح الله بآلام الإنسان؟ بل لماذا يرضى بآلام الأبرار والقديسين ؟

وفى الصليب يكشف لنا الله أسرار الحياة ، فعلى الجلجثة ، تمثلت أعمال العناية التى تبدو أمام عيوننا غامضة ، فرأينا هناك المسيح القدوس البرئ يتألم لأجل شر الأشرار ، ويحترق قلبه من فرط العار ، ويموت وهو فى ريعان الشباب ، مع أنه سمع صوت السماء ينادية فى مستهل خدمته ، هذا هو ابنى الحبيب الذى به سررت ، .

فإذا كانت قلوبنا تحترق من الحزن على فقد عزيز ، فكذلك احترق قلب المسيح ، وإذا اغتصب الأشرار ميراثنا ، وأخذوا ظلماً مالنا، فكذلك اقتسم الجنود الرومان ثياب المسيح ، وعلى لباسه ألقوا قرعة!! وإذا مات أحد أعزائنا ميتة شنيعة، فكذلك مات المسيح ميتة العار على صليب الهوان! وإذا ماخطر ببالنا أن نتساءل عن قصد الله فى آلامنا ، أجابنا ، الصليب ، بأن كل ألم فى حياة أولاد الله مرتب بمشورة الله المحتومة لغاية عليا، وقصد جليل! وإذا تعجبنا كيف رضى الله أن يأخذ فلذة كبدنا وهو فى

ربيع حياته، وعنفوان شبابه؟ رأينا على الصليب مسيح الله الذى قضى وهو فى الثلاثين؟؟؟

وهكذا تتوضح لنا أسرار الألم فى حياتنا .

لكن ما يعزينا ، هو أن الموت لم يكن خاتمة حياة المسيح ، ولا كان القبر نهاية كفاحه وخدمته وآلامه ؟؟ كلا !! فبعد الموت أشرق فجر القيامة ، وبعد ظلمة القبر ارتقى المسيح إلى عرشه المجيد وبعد الصليب حمل السيد على رأسه تاج المجد التليد ...

فيليق بنا إذاً أن نفرح ونبتهج ، إذ بعد آلام الحياة وأحزانها سوف نتمتع بتاج الخلود السعيد .

فيا نفسى لا تجزعى ولا تفزعى .

بل انحنى فى خضوع عند الصليب . ،

ففيه أظهر الله لك حقيقة قيمتك .

وفيه الحل الأوحد لمشاكل حياتك .

وفيه أعلن الله حبه المريح لبنى الإنسان .

وعنده يستريح المتعبون .


الفصل الثالث
الصليب فى الرموز والنبوات

هذا الخيط القرمزى الذى يتخلل صفحات الكتاب المقدس من تكوينه إلى رؤياه ! ما دلالته وما معناه ؟!

هذه الذبائح التى نحرت على مذبح الله خلال القرون والأجيال إلى من ترمز وإلى أى شخص تشير ؟ !

هذه النبوات التى نطق بها أنبياء العهد القديم والتى تتحدث عن شخص آت سيتألم ويموت ! من هو هذا الشخص الذى تعنيه ؟

إن هذا الخيط القرمزى، وهذه الذبائح الكثيرة، وهذه النبوات العديدة ، تشير كلها إلى شخص واحد هو : يسوع المسيح، الذى قال عنه بطرس الرسول وهو أحد كبار الحواريين «ونحن شهود بكل ما فعل فى كورة اليهودية وفى أورشليم الذى أيضاً قتلوه معلقين إياه على خشبة الصليب... له يشهد جميع الأنبياء أن كل من يؤمن به ينال باسمه غفران الخطايا » أعمال١٠ :٣٩، ٤٣

فقبل أن يأتى المسيح بمئات السنين ويصلب على الصليب تنبأ الأنبياء عن مكان ولادته، وكيفية هذه الولادة المعجزية، وموته على صليب العار كفارة لخطايا البشر !!

ومعنى هذه النبوات أن الله فى علمه الواسع ، ومعرفته المطلقة يعرف النهاية من البداية ، كما يقول فى سفر إشعياء « أنا الرب هذا اسمى ومجدى لا أعطيه لآخر .. هوذا الأوليات قد أتت والحديثات أنا مخبر بها . قبل أن تنبت أعلمكم بها » إش ٤٢ : ٩ « أذكروا هذا وكونوا رجالاً . رددوه فى قلوبكم أيها العصاة ، اذكروا الأوليات منذ القديم لأنى أنا الله وليس آخر ، الإله وليس مثلى مخبر منذ البدء بالأخير ومنذ القديم بما لم يفعل قائلاً رأيى يقوم وأفعل كل مسرتى » إش ٤٦ : ٨ ، ١٠ وهذا يتفق تماما مع ما قاله يعقوب الرسول « معلومة عند الرب منذ الأزل جميع أعماله » أع ١٥ : ١٨ .

فسقوط الإنسان لم يكن مفاجأة لله لم يعمل لها حساباً ، لكنه عرف بسابق علمه أن الإنسان سينحدر إلى هاوية السقوط ، ولم يتدخل سبحانه وتعالى لمنع هذا السقوط ، لأنه خلق الإنسان حراً واحترم حريته ، فأى تدخل من جانبه تبارك اسمه كان يعتبر امتهاناً للحرية التى منحها للإنسان وبالتالى يجعل من الإنسان أداة مسيرة فى يد الله ، وليس هذا هو قصد الله فى خلقة الإنسان ، لأنه خلق الإنسان حراً ، ووضعه تحت التزام

أدبى أمامه ، وكان من واجب الإنسان أن يستمر مطيعاً لوصية الخالق العظيم ، لكنه أصغى لصوت الشيطان وسقط سقوطه المشين.

ومع هذا فإن الله فى حكمته الأزلية التى جلت وعلت، اتخذ من سقوط الإنسان وسيلة لاظهار بره وقداسته ، وعدالته ورحمته ، فى الوقت الذى أبقى فيه للإنسان كامل حريته ، وكان الصليب هو مفتاح هذا التدبير الحكيم !!

ولا يغرب عن بالنا أنه بعد سقوط الإنسان ، أعلن له الله خلاصه بواسطة « الدم » وخلال هذه الآلاف من السنين التى سبقت مجئ المسيح ، كان الله يعد البشرية عن طريق الذبائح الرمزية والإعلانات النبوية لترى الوسيلة الحكيمة التى رتبها لفدائها ،ولتعرف خلاصه الثمين الذى سيجريه لأجلها بالصليب.

فالصليب إذاً لم يكن حادثاً عابراً فى حياة المسيح ، ولكنه كان تدبيراً أزلياً فى مشورات الله ، ولذا فإن موت المسيح ليس كموت الأنبياء ، والشهداء ، وأصحاب الرسالات ، ومن يموتون حباً فى الوطن الذى يعيشون فيه ، لأنه يختلف كل الاختلاف عن موت هؤلاء ، ذلك لأن المسيح ولد لكى يموت !! ومات طوعاً واختياراً لا لأن اليهود أرادوا له أن يموت ، ولا لأن بيلاطس الوالى الرومانى حكم عليه بالموت ، لكن لأنه جاء خصيصاً لكى يموت وأعلن وهو الصادق الأمين هذا الحق بقوله

«إن ابن الإنسان لم يأت ليُخدم بل ليخدم وليبذل نفسه فدية عن كثيرين » مت ٢٠ : ٢٨ ، وقد تكلم له المجد عن موته على الصليب عدة مرات فأنبأ به نيقوديموس فى مستهل خدمته قائلاً: « وكما رفع موسى الحية فى البرية هكذا ينبغى أن يرفع ابن الإنسان لكى لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية » يو ٣ : ١٤ وأعلنه لليهود فى قلب خدمته حين قال «وأنا إن ارتفعت عن الأرض أجذب إليّ الجميع قال هذا مشيراً إلى أية ميتة كان مزمعاً أن يموت » يو ١٢ : ٣٢ ، ٣٣ وأخبر به تلاميذه قرب نهاية خدمته فقال لهم « إنه ينبغى أن يذهب إلى أورشليم ويتألم كثيراً من الشيوخ ورؤساء الكهنة والكتبة ، ويقتل وفى اليوم الثالث يقوم » مت ١٦ : ٢١ فلم يكن الصليب إذاً أمراً جديداً على المسيح ، بل كان شيئاً منتظراً ثبت وجهه لكى ينطلق نحوه.

ويكشف لنا بطرس الرسول عن هذه الحقيقة الأزلية فيقول فى عظته التى ألقاها يوم الخمسين « هذا (أى المسيح) أخذتموه مسلماً بمشورة الله المحتومة وعلمه السابق وبأيدى أثمه صلبتموه وقتلتموه » أع ٢ : ٢٣ ثم يعود مؤكداً هذا الحق فى رسالته قائلاً «عالمين أنكم افتديتم لا بأشياء تفنى بفضة أو ذهب من سيرتكم الباطلة التى تقلدتموها من الآباء بل بدم كريم كما من حمل بلا عيب ولا دنس دم المسيح معروفاً سابقاً قبل تأسيس العالم ولكن قد أظهر فى الأزمنة الأخيرة من أجلكم » ١ بط ١ : ١٨ - ٢٠

وعلى هذا فإن المسيح لم يمت على الصليب موت شهيد ، أو موت نبى مضطهد ، لأنه لم يمت على الرغم منه ، بل مات طوعاً واختياراً وأعلن عن موته الاختيارى قائلاً : « لهذا يحبنى أبى لأنى أضع نفسى لآخذها أيضا ليس أحد يأخذها منى بل أضعها أنا من ذاتى . لى سلطان أن أضعها ولى سلطان أن آخذها أيضا » يو ١٠ : ١٧ ، فموت المسيح الذى تم باختياره على الصليب لأجل خلاص البشر كان أمراً معروفاً ومرتباً قبل تأسيس العالم وأصدق دليل على هذا هو الرموز الكثيرة الواضحة التى تذخر بها كتب العهد القديم ، والنبوات العديدة الصريحة التى تمت بصورة جليه فى الصليب .

يحدثنا المهندس الإنجليزى « لنذزى جلج » فى كتاب له عن منظر آخاذ رآه فى قاعة كبرى ملحقة بإحدى الكنائس فى بلاد الغرب ، يتوسط هذه القاعة البديعة التنسيق تمثال رائع للمسيح المصلوب ، وحول هذا التمثال عدة تماثيل لأنبياء العهد القديم وقد أشار كل منهم بأصبعة إلى ذلك الصليب المرتفع فى جلال وبهاء ، وتحت تمثال كل نبى الآية المركزية فى نبواته عن المسيح وموته مصلوباً على الصليب .

فتحت تمثال موسى الذى يشير بأصبعه إلى الصليب العجيب كتبت هذه الكلمات « يقيم لك الرب إلهك نبياً من وسطك من إخوتك مثلى ، له تسمعون » خر ١٨ : ١٥ .

وتحت تمثال أشعياء سجلت هذه الآية الجليلة «كلنا كغنم ضللنا ملنا كل واحد إلى طريقه والرب وضع عليه إثم جميعنا» مز٢٢ :١٦ .

وتحت تمثال يوحنا المعمدان تلمع هذه الكلمات «هوذا حمل الله الذى يرفع خطية العالم» يو ١ :٢٩ .

وهكذا يرى الواقف فى هذه القاعة الجميلة ، جميع أنبياء العهد القديم ، وهم يشيرون إلى مجئ المسيح ليخلص العالم الأثيم.

فلندخل إذاً إلى مقادس الوحى ، ولنتابع السير وراء هذه الرموز والنبوات لنتأكد مدى انطباقها على شخص المسيح الكريم ولنبدأ أولاً بدراسة :

الصليب فى الرموز

١ - وعد وأقمصة من جلد :

إن أول لمحة من أضواء النبوة تلمع بجمالها الرائع بعد سقوط الإنسان ، نجدها فى الأصحاح الثالث من سفر التكوين فقد جاء الله ليعلن حبه للبشر ، وليريهم الطريق الذى رتبه لإنقاذهم من الهلاك ويلذلنا أن نعرف أن الله قبل أن ينطق بحكم العدالة على آدم وحواء أعطى أولاً وعد الفداء العتيد ، فقال

للحية ، وأضع عداوة بينك وبين المرأة وبين نسلك ونسلها هو يسحق رأسك وأنت تسحقين عقبه ، تك ٣ : ١٥ ، وكان هذا الوعد هو النور الوهاج الذى أشرق أمام الإنسان بالرجاء ، إذ فيه سمع الإنسان عن ميلاد ، نسل المرأة ، الذى يسحق رأس الحية القديمة إبليس والشيطان ، وقد تم هذا الوعد بصورة واضحة إذ «لما جاء ملء الزمان أرسل الله ابنه مولوداً من امرأة ، ٤ : ٤ ليكون فعلاً وحقاً ، نسل المرأة ، الظافر المنتصر الذى يسحق بصليبه رأس إبليس ، ويسحق إبليس عقبه بآلام الصليب .

وجدير بنا أن نلاحظ أن هذا النسل الموعود هو ، نسل المرأة، أى أنه وليد يأتى من امرأة بغير رجل ، وقد تمت هذه النبوة فى شخص المسيح وسجلها متى فى انجيله قائلاً ، وهذا كله كان لكى يتم ما قيل من الرب بالنبى القائل هوذا العذراء تحبل وتلد ابناً ويدعون اسمه عمانوئيل الذى تفسيره الله معنا ، مت ١ : ٢٢، ٢٣ .

وفوق ذلك إننا نرى خلال قصة السقوط رمزاً صريحاً عن طريق الفداء ، بالدم ، ، إذا نقرأ الكلمات ، وصنع الرب الإله لآدم وامرأته أقمصة من جلد وألبسهما ، تك ٣ : ٢١ .

فكيف تسنى لله أن يصنع هذه الأقمصة الجلدية ؟ لا ريب فى أن هذا قد تم بواسطة سفك دم حيوان برئ ، أخذ الله جلده وكسا به عرى الإنسان ، وهكذا تبزغ أمامنا الحقيقة التى بدت

بعد ذلك واضحة فى الرموز ، والذبائح ، والنبوات و حقيقة مجئ « البديل البرئ » ، الذى سيأخذ مكان الإنسان ، ويسفك دمه لأجله لينال الإنسان الغفران والحياة إذا أنه « بدون سفك دم لا تحصل مغفرة » .

وهنا قد يعترض معترض قائلاً : إن فلسفة « البديل » فلسفة غير عادلة ، لأنها ترضى أن يموت البرئ عوضاً عن المجرم الأصيل وأن يأخذ الذى لم يفعل الجريمة ، مكان المعتدى الأثيم !!

ويجيب « جيريلبويد » عن هذا الاعتراض قائلاً « إنه فى كل قضية إنسانية مشابهة يوجد أربعة أطراف إلى جوار المجرم الحقيقى :

أولاً : القاضى .
ثانياً : البديل .
ثالثاً : المجتمع الذى أسئ إليه .

رابعاً : رأس الدولة الممثل لقانون البلاد ، والذى أقسم القاضى فى محضره أن يكون نزيها فى تنفيذ عدالة القانون ، وفى قضية هذه أطرافها لا يمكن للقاضى أن يحكم على شخص برئ حتى ولو رضى ذلك الشخص أن يأخذ مكان المجرم الأصيل ، لأن عملاً كهذا يسئ إلى المجتمع الذى لم يأخذ

القانون مجراه فى القاتل الحقيقى لأحد أفراده ، كما يسئ إلى القانون الذى أقسم القاضى على تنفيذه بعدالة وصدق ، ويجعل القاضى فى موقف الرضى عن الظلم والغش والتدليس . .

أما فى « قضية الصليب » ، وفى وضع المسيح كبديل برئ عن البشر الآثمين ، فالأمر يختلف كل الاختلاف . إذ أننا نرى فى هذه القضية أن المجرم هو « الإنسان الخاطئ الأثيم » ، ولكننا لا نجد أمامه سوى شخص واحد هو « القاضى » ، وهو نفسه « المجتمع الذى أسئ إليه » ، وهو « واضع القانون » ، وهو « ممثل القانون » ، وهو فى ذات الوقت الذى ارتضى أن يكن «البديل البرئ » ... وهو « الله المحب الشفوق .. العادل البار القدوس » ، الذى لا يمكن أن توافق عدالته على أن يغفر للناس بغير حساب ولذا فإن الله حين جاء فى المسيح ليموت على الصليب ، لم يكن منفذاً لقانون شخص آخر ، بل للقانون الذى وضعه هو ، والجريمة لم ترتكب ضد شخص سواه . وفوق الكل فانه لم يأخذ شخصاً آخر بعيداً عنه ليجعله بديلاً للإنسان ، بل على العكس قد رفض هذا فى وضوح عندما عرض عليه موسى أن يجعله بديلاً لإسرائيل وأن يمحوه لأجلهم من كتابه الذى كتب (خروج ٣٢ : ٣٠ - ٣٥) ، ولكنه جاء بنفسه آخذاً صورة العبيد الآثمين ، وحمل فى الجسد الإنسانى الذى أخذه عقاب قانونه وبهذا وفق بين عدله ورحمته ، وبين قداسته ومحبته ، وبين كراهيته الشديدة للخطية ، ومحبته الفائقة

للإنسان !! وبينما تألم ومات على الصليب ، نجده يعلن عن نفسه أنه « القاضى العادل ديان كل الأرض » (مت ١٣ : ٤١ - ٤٣ ، ٢٥ : ٣١ - ٤٦) ، وعلى هذا فنحن لا نجد الله القدوس يعاقب شخصاً بريئاً باعتباره طرفاً ثالثاً فى القضية بلا نرى أن «القاضى ، هنا هو الله المثلث الأقانيم ، وأن الأقنوم الثانى من اللاهوت ، قد رضى فى محبته أن يأخذ شخصية المجرم ممثلاً إياه فى كل شئ ما عدا الخطية ، وأخيراً صار هو نفسه « خطية» ، وارتضى أن ينفذ فى شخصه عقاب القانون الذى وضعه هو ضد الخطية ، وهو القانون القائل « النفس التى تخطئ هى تموت » ، وفى ذات الوقت نجد أن هذا القانون لا وجود له بعيداً عن وجود الله العادل الذى وضعه فى الوجود » .

وكل هذا يرينا بأن فلسفة « البديل البرئ » التى تنادى بها المسيحية، هى القمة الشاهقة التى يعلن الله من فوقها عن صفاته الأدبية الكاملة، والتى تظهر فيها حكمة الله ومحبة الله.

حدثنا مستر مودى فى كتابه « الكلمة الحمراء » عن سيدة ذهب زوجها إلى كاليفورنيا بحثاً عن الرزق ، وعندما صادفه النجاح ، أرسل إلى زوجته لتأتى إليه مع ابنهما الوحيد ! استقلت الزوجة الباخرة ، وأقلعت الباخرة متجهة صوب هدفها المقصود ، ولم يمض وقت طويل حتى سمع ركابها صراخ شديد « النار ... النار » ، وأدرك القبطان أن الباخرة سيكون مصيرها الدمار،

لأنها كانت تحمل شحنة من « البارود » ، فأسرع بإنزال قوارب النجاة ، وطلب من ركاب السفينة الإسراع فى النزول ، وفى لحظة خاطفة كانت جميع القوارب ممتلئة بالناس ، وكانت الأم وولدها على ظهر الباخرة التى ينتظرها الحريق !! وصرخت الأم متوسلة « خذونى ... وخذوا ولدى » لكن ركاب القوارب رفضوا أخذهما إذ لم يكن لهما موضع فى أى قارب للنجاة ... وبكت المرأة بالدموع ، حتى رق لها قلب الركاب ، وقالوا لها : إننا لا نستطيع أن نأخذ سوى شخص واحد فى القارب .. وبلا تردد احتضنت الأم ولدها ، وقبلته قبلة الوداع ، ثم قالت له « يا ولدى الحبيب ، إذا قيض الله لك الحياة حتى ترى أباك ، فقل له أن أمى ماتت عوضا عنى ... ماتت لكى تهبنى أنا الحياة » .

إننا نقف أمام تضحية هذه الأم لأجل ابنها وقد أحنينا رؤوسنا فى إجلال !! وكل تضحية فى الوجود تثير فى القلب مشاعر الاحترام والتقدير ، فهل يمكن أن يكون الله أقل تضحية من خليقته ؟ ! إننا نقف خاشعين أمام أب يحترق ليخلص أحد أولاده من الحريق !! أوجندى يثبت فى موضعة حتى الموت لينقذ فرقته من الدمار !! أو شاب يلقى بنفسه وسط الأمواج العاتية لينقذ إنساناً أشرق على الغرق !! وفى كل هذه الصورة نحن نرى فلسفة « البديل » ، ونرى فى هذا البديل شهامة تستحق منا الحب والإجلال والتوقير!

ومع ذلك فأن هذه الصور مجتمعة ، لا تعبر إلا تعبيراً باهتاً ضعيفاً عن تضحية المسيح البرئ ، وموته الاختيارى على الصليب ، ليخلص الإنسان من العقاب والهلاك ، ويريه كيف دخل معه فى معركة الموت لينقذه إلى الأبد من هذا العدو الرهيب.

لقد حاول الإنسان بعد أن أحس بعريه المشين ، أن يستر عرى نفسه بأوراق التين ، لكن هذه الأوراق جفت وآلت إلى ذبول ! وهنا « صنع الرب الإله لآدم وامرأته أقمصة من جلد وألبسهما » ، ومعنى ذلك أن الخلاص هو من « صنع الله وحده» ، وأنه ليس من أعمال الإنسان ، أو مجهوده ، أو تفكيره ، بل معناه كذلك أن الخلاص لم يتم إلا عن طريق « الدم » الذى سفك لستر عرى الإنسان ، وهذا الرمز قد تم بأجلى بيان فى صليب المسيح فهناك أتم الله عملية الفداء ، أنقذ الإنسان من العار والعرى ، والشقاء كما يقول بولس الرسول « لأنكم بالنعمة مخلصون بالإيمان وذلك ليس منكم هو عطية الله . ليس من أعمال كيلا يفتخر أحد » (أفسس ٢ : ٨ ، ٩) .

٢ - ذبيحة هابيل :

إذ نقلب صفحات سفر التكوين يقابلنا فى الأصحاح الرابع رجلين هما « قايين » و « هابيل » ونراهما وهما يحاولان

الاقتراب إلى الله كل واحد بالطريقة التى أرادها ، أما قايين فقد «قدم من أثمار الأرض قرباناً للرب ، وأما هابيل فقد قدم ، من أبكار غنمه ومن سمانها » !

فكيف نظر الله إلى تقدمة كل منهما ؟ يقول لنا كاتب سفر التكوين « فنظر الرب إلى هابيل وقربانه . ولكن إلى قايين وقربانه لم ينظر » .!

فلماذا رفض الله تقدمة قايين وقبل تقدمة هابيل ؟ إن تقدمة قايين فى جملتها ليست إلا نكراناً شاملاً لكل ما قاله الله عن لعنته للأرض وأثمارها ، وعن حقيقة الخطية والحاجة إلى مخلص يكفر عنها الأمر الذى أوضحه الله لآدم وحواء عندما صنع لهما أقمصة من جلد ، والذى لاشك أنه أكده أكثر من مرة فى تعاليمه ووصاياه لكليهما ولهذا كان طريق قايين طريقاً مضاداً لمشيئة الله ، وهذا الطريق هو طريق الذى يتكلون على أعمالهم الصالحة ، ومجهوداتهم ، وثمار أتعابهم ، مع أن الله قد أعلن أن أعمالنا الصالحة لا يمكن أن تخلصنا من عقاب خطايانا، وأن حسناتنا لا يذهبن سيئاتنا ، فقال على لسان نبيه إشعياء « قد صرنا كلنا كنجس. وكثوب عدة كل أعمال برنا » إش ٦٤ : ٦ . وقد قيل أن « عدة المرأة هى أيام طمثها » ، فانظر كيف يصور الله أعمال برنا بثوب امتلأ نجاسة وقذارة ؟ ! ثم قل : فماذا تكون أعمال شرنا ؟! لقد رفض الله تقدمة قايين لأنها

كانت من ثمار الأرض الملعونة ، فكانت تحمل اللعنة فى ثناياها .. أما ذبيحة هابيل فقد قبلها الله ، لأنها كانت اعترافاً وديعاً متواضعاً ، وقبولاً صحيحاً واضحاً لطريقة الله فى الغفران والقبول . ويسجل كاتب الرسالة إلى العبرانيين عن هابيل هذه الكلمات « بالإيمان قدم هابيل ذبيحة أفضل من قايين . فبه شهد له أنه بار إذ شهد الله لقرابينه » عب ١١ : ٤ ، ويقينا أنه لا يمكن أن يكون هناك إيمان مالم يكن هناك إعلان سابق يستند عليه هذا الإيمان لأن « الإيمان بالخبر والخبر بكلمة الله » ، وعلى هذا فإن هابيل لم يقدم ذبيحته الدموية لمجرد استحسانه الشخصى أو تفكيره العقلى، بل لابد أن الله قد أعلن منذ البدء الحقيقة الكبرى أنه «بدون سفك دم لا تحصل مغفرة » ، وأن هابيل قد عرف هذه الحقيقة من آدم أبيه وقبلها فى ثقة ويقين ، فكانت ذبيحته رمزاً للمسيح الذبيح الأعظم .

٣ – فلك نــوح

نصل الآن إلى رمـز ثالث لشخص المسيح هو فلك نوح ، ففى أيام ذلك الرجل البار فسدت الأرض وامتلأت ظلماً ، وكان لابد أن يفعل الله شيئاً ليظهر كراهيته للخطية ، وحكمه الرهيب عليها ، وفى ذات الوقت كان عليه أن ينقذ الأقلية الضئيلة التى آمنت به وعاشت بحسب وصاياه ، وكان نوح وعائلته هم هذه الأقلية الأمينة ، فقال الله لنوح نهاية كل بشر قد أتت أمامى .

لأن الأرض امتلأت ظلماً منهم . فها أنا مهلكهم مع الأرض .
اصنع لنفسك فلكاً من خشب جفر ... فها أنا آت بطوفان الماء
على الأرض لأهلك كل جسد فيه روح حياة من تحت السماء
كل ما فى الأرض يموت . ولكن أقيم عهدى معك فتدخل الفلك
أنت وبنوك وامرأتك ونساء بنيك معك » تك ٦ : ١٣ ، ١٤ ، ١٧،
١٨.

ومن سياق القصة نرى أن الفلك قد عمل بتصميم الله ،
وأنه كان السبيل الوحيد لنجاة نوح وأفراد عائلته ، وأنه احتمل
طوفان المياة عوضاً عن نوح وأفراد أسرته ، وبهذا أنقذهم جميعاً
من موت محقق .

وكل هذه الصفات تنطبق تماماً على شخص ربنا يسوع
المسيح ، فهو المخلص المعين من الله ، الممسوح منه لأجل
الخلاص ، وهو الطريق الوحيد لخلاص البشر كما قال فيه بطرس
« وليس بأحد غيره الخلاص لأن ليس اسم آخر تحت السماء قد
أعطى بين الناس به ينبغى أن نخلص » أع ٤ : ١٢ ، وهو الذى
طمت عليه تيارات ولجج غضب العدل الإلهى عوضاً عن
الخطاة الآثمين ، فصار من يلجأ إليه فى حمى من دينونة الله
كما يؤكد ذلك بولس الرسول قائلاً « إذاً لا شئ من الدينونة الآن
على الذين هم فى المسيح يسوع السالكين ليس حسب الجسد بل
حسب الروح » رو ٨ : ١ وهكذا نرى فى ذلك الفلك القديم رمزاً

جميلاً للرب يسوع المسيح .

٤ - تقديم إسحق :

نستمر سائرين مع السجل المقدس ، إلى أن نصل إلى قصة تقديم إسحق ، وهى قطعاً من أروع قصص العهد القديم وقد ذكرها الكتاب فى هذه الكلمات « وحدث بعد هذه الأمور أن الله امتحن إبراهيم ، فقال له يا إبراهيم فقال . هأنذا . فقال خذ ابنك وحيدك الذى تحبه إسحق واذهب إلى أرض المريا وأصعده هناك محرقة على أحد الجبال الذى أقول لك » تك ٢٢ : ١ ، ٢ وقد أطاع إبراهيم صوت الله ، وأخذ ابنه المحبوب ليقدمه محرقة لأجله ولكنه ما كاد يصل إلى الجبل ، ويربط إسحق ويضعه على المذبح فوق الحطب الذى أعده حتى ناداه ملاك الرب من السماء قائلاً « إبراهيم إبراهيم لا تمد يدك إلى الغلام ولا تفعل به شيئا » تك ٢٢ : ١١ « فرفع إبراهيم عينيه ونظر وإذا كبش ممسكاً فى الغابة بقرنيه فذهب إبراهيم وأخذ الكبش وأصعده محرقة عوضاً عن ابنه » تك ٢٢ : ١٣ .

وفى تتبعنا لسياق القصة تقابلنا هذه الحقائق الهامة وهى :

أولاً : إن الله قد أشفق على إسحق فلم يسمح لأبيه أن يذبحه ، وهذا أصدق دليل على أن الله لا يحب الذبائح البشرية ، ولا يوافق عليها بحال ، وكل ما فى الأمر أنه أراد أن يجيز

إبراهيم فى اختبار حى، وأن يعطيه شعاعة من نور محبته للبشر « لأنه هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكى لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية » يو ٣ : ١٦ ، أجل إن الله « لم يشفق على ابنه بل بذله لأجلنا أجمعين » رو ٨: ٣٢ لكى يعلن لنا مدى حبه ، ومقدار عواطف قلبه ، وبينما أشفق على « ابن إبراهيم » وقال لأبيه « لا تمد يدك إلى الغلام » ترك ابنه الوحيد معلقاً على الصليب يتجرع آلامه . المريرة وموته القاسى البطئ الرهيب لأجل العالم الأثيم ، ويصف يوحنا هذا الحب الإلهى قائلاً « فى هذا هى المحبة ليس أننا نحن أحببنا الله بل أنه هو أحبنا وأرسل ابنه كفارة لخطايانا » ١ يو ٤ : ١٠ .

أما الحقيقة الثانية التى نراها فى هذا الأمر الجميل . فهى أن إسحق وهو يحمل حطب المحرقة على كتفه ويصعد به إلى جبل المريا إنما كان يرمز إلى ذاك الذبيح الحقيقى الذى قال عنه يوحنا فى إنجيله « فخرج وهو حامل صليبه إلى الموضع الذى يقاله له موضع الجمجمة ويقال له بالعبرانية جلجثة حيث صلبوه» يو ١٩ : ١٧ ، ١٨ ، وليس ببعيد أن يكون الله قد رفع حجاب الزمن عن عينى إبراهيم فى هذه الساعة بالذات فرأى بديل البشرية الأوحد يسوع المسيح ولذا فقد قال رب المجد لليهود « أبوكم إبراهيم تهلل بأن يرى يومى فرأى وفرح » يو ٨ :٥٦ .

وهناك **حقيقة ثالثة** فى هذه القصة الخالدة هى حقيقة

الفداء ، بالدم ، إذ لما رفع إبراهيم عينيه رأى كبشاً ممسكاً فى الغابة بقرنية فذهب إبراهيم وأخذ الكبش وأصعده محرقة عوضا عن ابنه .

وهكذا مات الكبش البرئ مكان الولد الذى كان مزمعاً أن يموت تماما ، كما مات المسيح ، حمل الله ، بدل كل خاطئ أثيم وذاق بنعمة الله الموت لأجل كل واحد عب ٢ : ٩ .

٥ - سلم يعقوب :

إذ نستمر فى سياحتنا فى سفر التكوين نقرأ عن سلم يعقوب التى رآها فى حلمه الفريد ، وإليك قصة هذا الحلم ، فخرج يعقوب من بئر سبع وذهب نحو حاران ، وصادف مكاناً وبات هناك لأن الشمس كانت قد غابت وأخذ من حجارة المكان ووضعه تحت رأسه فاضطجع فى ذلك المكان ورأى حلماً وإذا سلم منصوبة على الأرض ورأسها يمس السماء وهوذا ملائكة الله صاعدة ونازلة عليها . وهوذا الرب واقف عليها ، تك ٢٨ : ١٠- ١٣ ، والواقع أنه ما كان لنا أن نقول إن هذه السلم ترمز إلى شخص المسيح الكريم ، لولا أن أشار رب المجد إلى ذلك بكلام صريح إذ قال ، الحق الحق أقول لكم من الآن ترون السماء مفتوحة وملائكة الله يصعدون وينزلون على ابن الإنسان ، يو١ :٥١ ، وفى بحثنا عن أوجه الشبه بين هذه السلم وبين

شخص المسيح ، نرى الإنطباق فى نواح ثلاث ، فهذه السلم قد أوصلت الأرض بالسماء ، ويسوع هو السيد الوحيد الذى أوصل الأرض بالسماء كما قال عنه بولس الرسول ، لأنه يوجد إله واحد ووسيط واحد بين الله والناس الإنسان يسوع المسيح ، ١ تى ٢ :٥ كما أن هذه السلم من الطول والعظمة بحيث يستحيل أن تقيمها أيادى بشرية ، وهذا دليل على أنه من العبث أن نحاول إقامة سلم من أعمالنا الصالحة لتوصلنا إلى السماء ، وفوق ذلك فإن هذه السلم قد أقامها الله للتعبير عن محبته ورعايته لإنسان ضعيف وحيد نظير يعقوب ، وشخص المسيح هو التعبير المتجسد لمحبة الله ولأجل هذا فقد نزل إلى أرضنا على درجات سلم الاتضاع ، ليرفع البشر على ذات هذه السلم إلى السماء ، وعن هذا يقول رسول الأمم ، فليكن فيكم هذا الفكر الذى فى المسيح يسوع أيضاً . الذى إذ كان فى صورة الله لم يحسب خلسة أن يكون معادلاً لله لكنه (١) أخلى نفسه . (٢) أخذاً صورة عبد (٣) صائراً فى شبه الناس (٤) وإذ وجد فى الهيئة كإنسان (٥) وضع نفسه وأطاع حتى الموت (٦) موت الصليب ، فى ٢ : ٥ – ٨ ، وبهذا الموت الكفارى أحيانا الله مع المسيح ، وأقامنا معه وأجلسنا معه فى السماويات فى المسيح يسوع، أفسس ٢ : ٦ وصارت الملائكة عن هذا الطريق فى خدمتنا وحراستنا ، أليس جميعهم أرواحاً خادمة مرسلة للخدمة لأجل العتيدين أن يرثوا الخلاص ، عب ١ : ١٤ ، وهكذا نرى فى سلم يعقوب رمزاً

جميلاً رائعاً للمسيح المصلوب الكريم .

٦ - خروف الفصح :

عندما نصل إلى سفر الخروج الأصحاح الثانى عشر نجد أن كل آية من أيات هذا الأصحاح المبارك تتضح بالدم ، دم الحمل المذبوح لنجاة شعب الله ، والآن دعنا نقرأ معاً بعض عبارات هذا الأصحاح الثمين « وكلم الرب موسى وهرون فى أرض مصر قائلا هذا الشهر يكون لكم رأس الشهور . هو لكم أول شهور السنة . كلما كل جماعة إسرائيل قائلين فى العاشر من هذا الشهر يأخذون لهم كل واحد شاة يحسب بيوت الآباء شاة للبيت... تكون لكم شاة صحيحة ذكراً ابن سنة . ويكون عندكم تحت الحفظ إلى اليوم الرابع عشر من هذا الشهر ثم يذبحه كل جمهور جماعة إسرائيل فى العشية ويأخذون من الدم ويجعلونه على القائمتين والعتبة العليا فى البيوت التى يأكلونه فيها .. فإنى اجتاز فى أرض مصر هذه الليلة وأضرب كل بكر فى أرض مصر من الناس والبهائم ... ويكون لكم الدم علامة على البيوت التى أنتم فيها . فأرى الدم وأعبر عنكم فلا يكون عليكم ضربة للهلاك » خر ١٢ : ١ - ١٣ .

وترينا هذه الحادثة أمرين : دينونة الله ... وطريق النجاة - أما الدينونة فهى « موت كل بكر » وأما طريق النجاة فهو « دم

الخروف المذبوح ، إذ قال الرب « فأرى الدم وأعبرعنكم فلا يكون عليكم ضربة للهلاك » .

ويقول الواعظ الأشهر مستر مودى « إن الله لم يقل : حين أرى أعمالكم الصالحة ، وحين أرى كيفية صلاتكم ، وحين أرى دموعكم أعبر عنكم ! بل قال « فأرى الدم وأعبر عنكم » ، فكل شئ كان متوقفاً على تصديق كلمة الله ووضع الدم على القائمتين والعتبة العليا !! لكن لماذا لم يوضع الدم على العتبة السفلى ؟ ذلك لأن الله لا يسمح أن ندوس دم ابنه الثمين ، مع أن هذا هو ما يفعله العالم اليوم ، حين يحتقر الهالكون طريق الخلاص بالدم ، ويزدرون بدم المسيح الكريم .

ويجدر بنا أن نلاحظ أن موت « خروف الفصح » كان هو السبيل لنجاة الشعب ، وليس الخروف الحى ، وما أثمن الدرس الذى لنا هنا ، فالخروف الصحيح الذى بلا عيب كان شيئاً ثميناً، لكن وسيلة خلاص الشعب كانت فى دم هذا الخروف ، لا فى مجرد بقائه حياً ، فيسوع الكامل القدوس كان لابد أن يموت وأن يسفك دمه على الصليب لأجل خلاص البشر ... ولكن الغريب أن يقول الكثيرون إن حياة المسيح العالية المثالية هى التى تخلص الناس ، مع أن الله لم يقل لشعبه « خذوا خروفاً صحيحاً نظيفاً واربطوه حياً على باب بيتكم ، وحينما أرى الخروف أعبر عنكم. كلا!! لقد كان دم ذلك الحمل هو وسيلة النجاة « فأرى الدم

وأعبر عنكم ، ولو أن أى واحد من أفراد الشعب ربط «الخروف» على باب بيته حيا لدخل الملاك وضرب بكره ضربة الموت بغير جدال .

كان الدم وحده هو طريق الخلاص، وكان البكر فى أفقر بيت من بيوت شعب الله ، فى أمان وراء الدم تماماً كموسى، وهرون ويشوع وكالب ، وأى واحد من عظماء العبرانيين .

وقد يقول قائل : إننى لا أستطيع أن أدرك تماماً لماذا يطلب الله الدم ؟ أهو يسر بمنظر الدماء الجارية كالأنهار ؟ أهو يفرح بهذه المئات من الذبائح تنحر على مذبحه ؟ أهو يتلذذ بموت هذه الكباش والثيران والحملان ؟

لكن صاحب هذه الأسئلة ينسى الحقيقة المركزية فى معنى هذه الذبائح الدموية ، وقد أوضح سفر اللاويين السبب الرئيسى فى أن الله يطلب الدم فى هذه الكلمات « لأن نفس الجسد هى فى الدم فأنا أعطيتكم إياه على المذبح للتكفير عن نفوسكم لأن الدم يكفر عن النفس » لاويين ٧ : ١١ .

فالله قد طلب « الدم » ووضع هذه الذبائح العديدة . لكى يركز فى العقل الإنسان أن « أجرة الخطية هى موت » ، نفس الحقيقة التى قالها لآدم « لأنك يوم تأكل منها موتاً تموت » ، ففى كل مرة يخطئ الإنسان كان عليه أن يقدم لله ذبيحة ، وكأنه يعترف وهو يضع يده على ذبيحته ، أنه يستحق الموت الذى

ستحتمله هذه الذبيحة البريئة لأنه أخطأ وتعدى وصية الله «وأجرة الخطية هي موت» .

لقد قال الشيطان لحواءوهو يغريها للأكل من الشجرة « لن تموتا » ، لكنه كان كاذباً في ادعائه . وتمت كلمة الله، وكان لابد أن يموت الإنسان أو أن يموت «المسيح بديله الأكبر على الصليب » ، وكانت هذه الذبائح التي قدمت على مر عصور التاريخ قبل مجئ المسيح رمزاً جميلاً وإشارة صريحة إلى موت الصليب !!

وفي اعتقادي أن الذين لا يحبون الله الذى يطلب « الدم » ، لا يقدرون في ذات الوقت أن يعيشوا تحت نظام يخالف عدالته: فهب أن رئيس دولة قال : إنني رجل طيب القلب ، وأشعر بالأسى لأن المجرمين والقتلة في السجون ، ولن أرضى من اليوم بأن أحكم على قاتل واحد بالإعدام ، وسآمر بفتح السجون وإخراج المسجونين أحراراً ، فمن من المواطنين يرضى برجل كهذا على رأس الدولة التي يعيش فيها ؟ ... إنها قطعاً ستكون دولة الفوضى ، والجريمة ، وانتهاك حرمات الآمنين !!

إن الله محبة هذا حق لامع واضح ، لكنه لا يغفر خطية الخاطئ إلا « بالدم » الذى هو رمز الموت .. أو بمعنى آخر أنه لن يرضى بتحطيم عدالته على حساب رحمته ، وقد قالت عدالته « إن النفس التي تخطئ هي تموت » ، وهذا هو السبب الحقيقي

فى وجود هذا الخط القرمزى من الدم خلال صفحات الكتاب المقدس.

كان الدم إذاً هو وسيلة خلاص أبكار شعب الله ! لكن هل استهزأ العالميون بهذا الدم أم خضعوا لهذه الوسيلة البسيطة التى رتبها الله ؟ ! يقيناً إن كثيرين من عظماء جوسان قد نظروا إلى ما يفعله شعب الله فى استهزاء وتهكم واستغراب ، ولايبعد أن الكثيرين منهم رأوا فى « الدم » ، لطخاً غير جميلة شوهت بيوت العبرانيين ، وهذا هو موقف الهالكين إزاء صليب المسيح كما يقول بولس الرسول « فإن كلمة الصليب عند الهالكين جهالة وأما عندنا نحن المخلصين فهى قوة الله » ١ كو ١ : ١٨ فحاذر يا صاحبى من الاستهزاء بالدم ، حاذرمن الاستهانة بالصليب ، طريق خلاص الله .

لقد تمم الله كلمته ، فحدث فى نصف الليل أن الرب ضرب كل بكر فى أرض مصر من بكر فرعون الجالس على كرسيه إلى بكر الأسير الذى فى السجن » خر ١٢ : ٢٩ ، فبعيداً عن حمى الدم لا يوجد سوى الموت والهلاك ! فهل ترى حمل الله يسوع المسيح ، مرموزاً إليه فى خروف الفصح الذى ذبح فى أرض مصر ؟ لقد رأى بولس فيه هذه لحقيقة فهتف فى فرح قلبه قائلا « لأن فصحنا أيضا المسيح قد ذبح لأجلنا » ١كو٥ :٧.

٧ – الصخرة المضروبة :

نستمر سائرين إلى مناسبة أخرى من المناسبات الواردة فى العهد القديم حيث نرى الله يشير برمز صريح إلى المسيح المصلوب ! وفى قصة الصخرة المضروبة يتجسم أمامنا هذا الحق الجميل ، فدعنا نقرأها معا ، ثم أرتحل كل جماعة بنى إسرائيل من برية سين بحسب مراحلهم عل موجب أمر الرب ونزلوا فى رفيديم ولم يكن ماء ليشرب الشعب فخاصم الشعب موسى وقالوا أعطونا ماء لنشرب . فقال لهم موسى لماذا تخاصموننى ، لماذا تجربون الرب . وعطش هناك الشعب إلى الماء . وتذمر الشعب على موسى وقالوا لماذا أصعدتنا من مصر لتميتنا وأولادنا ومواشينا بالعطش فصرخ موسى إلى الرب قائلاً ماذا أفعل بهذا الشعب بعد قليل يرجموننى . فقال الرب لموسى مر قدام الشعب وخذ معك من شيوخ إسرائيل وعصاك التى ضربت بها النهر خذها فى يدك واذهب . ها أنا أقف أمامك هناك على الصخرة فى حوريب فتضرب الصخرة فيخرج منها ماء ليشرب الشعب . ففعل موسى هكذا أمام عيون شيوخ إسرائيل ، خر ١٧ : ١ – ٦ .

شعب يموت عطشاً فى الصحراء ، فى أرض ناشفة يابسة بلا ماء ! يعطيه الله ماء لحياته وإرواء عطشه من صخرة ضربها موسى بعصاه مع أنه عرف أن الرب نفسه واقف على هذه الصخرة ! ويكفينا بولس الرسول مشقة الاستنتاج ، مؤكداً لنا أن هذه الصخرة كانت رمزاً للمسيح الذى ضرب من أجلنا على

الصليب ، فيقول ، فإنى لست أريد أيها الإخوة أن تجهلوا أن آباءنا جميعهم شربوا شراباً واحداً روحياً . لأنهم كانوا يشربون من صخرة روحية تابعتهم والصخرة كانت المسيح ،١ كو ١٠ : ١ ، ٤، أجل ، فكما أن الصخرة فى البرية وقف عليها الرب ، كذلك كان ، الله فى المسيح مصالحاً العالم لنفسه ، ، معطياً للعالم الذى كاد العطش أن يميته ماء الحياة من قلبه الذى جرح على الصليب ، ولذا فليس بغريب أن يقول السيد للمرأة السامرية ، من يشرب من الماء الذى أعطيه أنا فلن يعطش إلى الأبد بل الماء الذى أعطيه يصير فيه ينبوع ماء ينبع إلى الحياة الأبدية ، يو ٤ : ١٤ ، وهذا الماء الجارى الفياض قد صار لنا لأن ، يسوع ، قد ضُرب لأجلنا كما يقول إشعياء ، ونحن حسبناه مصاباً مضروباً من الله ومذلولاً وهو مجروح لأجل معاصينا مسحوق لأجل آثامنا تأديب سلامنا عليه وبحبره شفينا ، إش ٥٣ : ٤ ، ٥ .

٨ - الحية النحاسية فى البرية :

نمر الآن سريعاً لنصل إلى هذه القصة فى سفر العدد ،وارتحلوا من جبل هور فى طريق بحر سوف ليدوروا بأرض أدوم فضاقت نفس الشعب فى الطريق . وتكلم الشعب على الله وعلى موسى قائلين .لماذا أصعدتمانا من مصر لنموت فى البرية لأنه لا خبز ولا ماء وقد كرهت أنفسنا الطعام السخيف . فأرسل

الرب على الشعب الحيات المحرقة فلدغت الشعب فمات قوم كثيرون من إسرائيل . فأتى الشعب إلى موسى وقالوا : قد اخطأنا إذ تكلمنا على الرب وعليك فصل إلى الرب ليرفع عنا الحيات. فصلى موسى لأجل الشعب فقال الرب لموسى : «اصنع لك حية محرقة وضعها على راية فكل من لدغ ونظر إليها يحيا » فصنع موسى حية من نحاس ووضعها على الراية فكان متى لدغت حية إنساناً ونظرا إلى حية النحاس يحيا » عدد ٢١ : ٤ – ٩

والآن دعنا نقف لحظة متأملين فى هذا الرمز الجميل الذى أكد السيد له المجد أنه يشير إلى موته على الصليب حين قال لنيقوديموس « وكما رفع موسى الحية فى البرية هكذا ينبغى أن يرفع ابن الإنسان لكى لايهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية » يو ٣ : ١٤ فلماذا رفع موسى الحية فى البرية ؟ لقد رفعت هذه الحية لأجل أناس رفضوا طريق الله ، ورفضوا الطعام الذى قدمه لهم وأسموه « بالطعام السخيف » ، ولدغتهم الحيات المحرقة فسرت سمومها فى دمائهم لإماتتهم ؟؟ ولم تكن هذه الحية النحاسية من ابتكار موسى بل كانت بتدبير الله ، وكانت حية واحدة فقط لكنها كانت كافية لشفاء « كل من ينظر إليها » ، وكان النظر إليها يهب الحياة من جديد لكل من لدغته حية محرقة !! وكانت حية من نحاس لها شكل الحية المحرقة لكنها خالية من سمها !! وكل هذه الأوصاف تنطبق على شخص ربنا يسوع ، المخلص الوحيد الذى أخذ صورة الإنسان

لكنه كان خالياً من خطية الإنسان والذى يهب الحياة لكل من ينظر إليه بالإيمان « التفتوا إلى وأخلصوا يا جميع أقاصى الأرض لأنى أنا الله وليس آخر » . أش ٤٥ : ٢٢ .

وفى كل هذه الأمور التى مرت بنا ناحية من نواحى عمل الصليب ، ففى أقمصة الجلد نرى المسيح الذى يكسو عرى الإنسان وفى ذبيحة هابيل نجد المسيح طريق اقترابنا إلى الله ، وفى فلك نوح نرى المسيح الذى يحمينا من الدينونة ، وفى تقديم إسحق تشع علينا أنوار محبة قلب الآب الذى بذل ابنه الوحيد ، وفى سلم يعقوب نرى يسوع الوسيط الوحيد بين الأرض والسماء، وفى خروف الفصح يشير الدم المسفوك فى أرض مصر إلى حمل الله الذى يرفع خطية العالم ، وفى الصخرة المضروبة نرى سيدنا الذى احتمل ضربة سيف العدل الإلهى لأجل خطايانا، وفى الحية النحاسية المرفوعة فى البرية نرى طريق نوال الخلاص بنظرة مصدقة إلى المسيح المصلوب وهكذا يلمع أمامنا الصليب بأنواره الساطعة فى كل هذه الرموز.

الذبائح فى سفر اللاويين :

وإذ نقرأ سفر اللاويين نرى صفحاته وقد غمرها تيار جارف من دماء الذبائح التى تشير كلها إلى ذبيحنا الوحيد العظيم ... فهناك نقرأ عن ذبيحة المحرقة التى تشير إلى المسيح كمن أنهى

مسألة الخطية وأعلن مجد الله على القياس الأكمل (اقرأ لاويين١)، ونقرأ عن ذبيحة السلامة التى تشير إلى الشركة مع الله على أساس السلام الذى صنعه المسيح بالصليب (لاويين ٣: ١ – ١٧ ، ٧ : ١١ – ٣٤) ، وكذلك عن ذبيحة الخطية ، وذبيحة الإثم وهما تشيران إلى دينونة الله الشديدة ضد الخطية عندما وضع خطايانا على بديلنا القدوس (اقرأ لا ٤ ، ٥ : ١ – ١٩ ، ١٦ : ١ – ٧) . ونحن نذكر هذه الذبائح باختصار تام ، تاركين لمن يريد التوسع ، أن يبحث لنفسه عن المعانى السامية لموت المسيح ، كما هى موجودة فى هذا السفر الجليل .

الصليب فى النبوات

تذخر الأسفار النبوية، بنبوات صريحة عن موت المسيح كفاد للبشرية، وقبل أن أذكر هذه النبوات وإتمامها الواضح الصريح فى شخص المسيح، أود أن ألفت نظر القارئ الكريم إلى ملاحظة هامة جداً فى العهد القديم :

حدثنا « آرثر جلاس » فى رسالة له بعنوان « اسم يسوع فى العهد القديم » قال : « لقد كان ما يتعبنى فى خدمتى مع اليهود هو سؤالهم : إذا كان يسوع هو المسيا الذى تنبأت عنه كتب العهد القديم فكيف لم يذكر اسمه فيها بحصر اللفظ ولو مرة واحدة؟، ومع أن اسم « المسيح » قد ذكر بحصر اللفظ فى نبوات كثيرة

مثل دانيال ٩ : ٢٦ حيث نقرأ « يقطع المسيح وليس له » ، إلا أننى لم أكن أجد اسم « يسوع » إلى أن فتح الروح القدس عينى فى يوما ما ، فهتفت من فرط الفرح إذ وجدت نفس الاسم «يسوع» موجوداً فى العهد القديم حوالى مئة مرة ، من سفر التكوين إلى سفر حبقوق ، نفس الاسم الذى بشر به جبرائيل الملاك « مريم العذراء » فى لو ١ : ٣١ .

فأين نجد اسم « يسوع » فى العهد القديم ؟ فى كل مرة تذكر فيها النبوة كلمة « خلاص » مع ضمير المتكلم أو المخاطب أو الغائب نجد أن هذه الكلمة هى نفسها « يسوع أو يشوع Ye-shua » التى استعملت فى متى ١ : ٢١ حين قال ملاك الرب فى الحلم ليوسف « فستلد ابناً وتدعو اسمه يسوع . لأنه يخلص شعبه من خطاياهم » ولنذكر أن الملاك لم يتحدث إلى يوسف باللغة اللاتينية ، أو الانجليزية ، أو اليونانية ، بل باللغة العبرانية وقد فهم يوسف ومريم معنى هذا الاسم ، إذ كانت العادة فى العهد القديم أن يسمى الناس أبناءهم باسماء ذات معنى (راجع تكوين ١٠ : ٢٥ – ٢٩ ، ٣٢ ، خروج ٢ : ١٠) وعلى هذا فإننا نستطيع القول بأن ملاك الرب حين تكلم إلى يوسف وقال له «فستلد ابناً وتدعو اسمه يسوع» قال بالعبرانية « فستلد ابنا وتدعو اسمه خلاص Yeshua لأنه يخلص شعبه من خطاياهم » وقد لمعت أمامى هذه الآية بنور وضاح بعد تجديدى بأربع وعشرين

سنة إذ رأيت كل تدبيرات العهد القديم فى هذا الأسم العزيز المبارك.

فدعونا نسير لنرى بأكثر وضوح أن الاسم العبرانى « يشوع Yeshua » هو نفسه اسم « يسوع » المذكور فى العهد الحديد .

عندما نام يعقوب على فراش الاحتضار ، وبدأ يبارك بنيه ، كان روح الله يعلن فى بركته مستقبل أولاده وفى عدد ١٨ من الأصحاح ٤٩ نقرأ الكلمات « لخلاصك انتظرت يا رب » ، والكلمات فى العبرانية « ليشوعك انتظرت يارب » ومعنى هذا أن يعقوب كان ينتظر « يسوع » الآتى .

وفى مزمور ٩١ : ١٤ – ١٦ نقرأ هذه الآيات « لأنك قلت أنت يارب ملجأى جعلت العلى مسكنك . لا يلاقيك شر ولاتدنو ضربة من خيمتك .. لأنه تعلق بى أنجيه أرفعه لأنه عرف اسمى يدعونى فاستجيب له . معه أنا فى الضيق . أنقذه وأمجده من طول الأيام أشبعه وأريه خلاصى » ، والكلمات الأخيرة هى فى العبرانية « وأرية يسوعى » .

ونجد فى سفر إشعياء كلمة « يسوع » فى العبرانية بصورة جلية مباركة إذ نقرأ هذه الكلمات « هوذا الله خلاصى فاطمئن ولا أرتعب لأن ياه يهوه قوتى وترنيمتى وقد صار لى خلاصا » إش ١٢ : ٢ .

والكلمات فى العبرانية ، هوذا الله يسوعى فاطمئن ولا ارتعب لأن ياه يهوه قوتى وترنيمتى وقد صارلى «يسوع» ، ثم تستمر النبوة قائلة ، فتستقون مياهاً بفرح من ينابيع الخلاص أى من ينابيع (يسوع) .

ولكى أؤكد هذا التفسير الصحيح ، أذكر حادثة عابرة حدثت معى ، فقد تقابلت مرة مع شخص يهودى ، ودار الحديث حول شخص يسوع ، مركز كل حديث جليل ، ، وقد اعترض ذلك اليهودى بعدم وجود اسم يسوع فى العهد القديم ، ولم أجبه إجابة مباشرة ، ولكننى طلبت إليه أن يترجم لى الآية الموجودة فى إش ٦٢ : ١١ من العبرانية إلى الانجليزية ، وكان الرجل أستاذاً فى اللغة العبرانية فترجم الآية بسهولة عظيمة ، وهذه هى ترجمته للآية ، هوذا الرب قد أخبر إلى أقصى الأرض . قولوا لابنة صهيون هوذا ، يشوعك ، آت . ها أجرته معه وجزاؤه قدامه، وعندما انتهى من ترجمته أحمر وجهه ، لأنه رأى أنه وضع سلاحاً بتاراً فى يدى بترجمة كلمة ، مخلصك ، إلى كلمة ، يشوعك أو يسوعك ، ، فهتف قائلاً : مستر جلاس إنك دفعتنى لقراءة كلمة ، مخلصك ، بهذه الصورة . فأجبته كلا : إنك قرأت كلمة الله كما هى ، أفلا تستطيع أن ترى أن كلمة ، مخلصك ، هى اسم شخص ، وأن هذا الشخص آت ، وأن أجرته معه ، وجزاءه قدامه !! وعندئذ أسرع بإحضار كتابة العبرانى وهو

يقول: أنا واثق أن كتابى يختلف عن كتابك ، فلما وجد أن النسختين واحد سلم بالحقيقة الواضحة .

ونحن نرى هذه الحقيقة أكثر لمعاناً فى قصة سمعان الشيخ التى نقرأها فى هذه الكلمات ، وكان رجل فى أورشليم اسمه سمعان وهذا الرجل كان باراً تقياً ينتظر تعزية إسرائيل والروح القدس كان عليه وكان قد أوحى إليه بالروح القدس أنه لا يرى الموت قبل أن يرى مسيح الرب . فأتى بالروح إلى الهيكل وعندما دخل بالصبى يسوع أبواه ليصنعا له حسب عادة الناموس أخذه على ذراعيه وقال ، الآن تطلق عبدك يا سيد حسب قولك بسلام . لأن عينى قد أبصرتا خلاصك ، لو ٢: ٢٥- ٣٠ والكلمات الأخيرة حرفياً ، لأن عينى قد أبصرتا يسوعك، !! ويقينا أن الرجل لم يبصر يسوع فقط ، بل لمسه ، وحمله بين يديه ، ففاض فى قلبه الإحساس بالفرح العميق لرؤياه ، يسوع الله – خلاص الله ، .

وإذا رأينا اسم يسوع ظاهراً بهذه الكيفية فى أسفار العهد القديم ، سأكتفى فيما يلى من حديث بذكر خمسة وعشرين نبوة، وردت فى العهد القديم متضمنة تسليم ، ومحاكمة ، وموت ، ودفن ربنا يسوع المسيح وقد نطق بها أنبياء كثيرون فى أزمنة مختلفة من سنة ١٠٠٠ إلى ٥٠٠ قبل المسيح ، أى مدة خمسة أجيال ، ولكن هذه النبوات قد تمت كلها حرفياً فى شخص

المسيح خلال أربع وعشرين ساعة أى فى يوم واحد ، هو يوم الصليب الخالد المجيد ، فلنتابع فى اخلاص هذه النبوات وكيف تمت فى ربنا يسوع المبارك .

١ – بيع المسيح بثلاثين من الفضة

نقرأ فى سفر زكريا هذه النبوة ، فقلت لهم أن حسن فى أعينكم فاعطونى أجرتى وإلا فامتنعوا فوزنوا أجرتى ثلاثين من الفضة ، زكريا ١١ : ١٢ ، وقد تمت هذه النبوة وذكرها متى البشير قائلاً ، وحينئذ ذهب واحد من الاثنى عشر الذى يدعى يهوذا الأسخريوطى إلى رؤساء الكهنة وقال ماذا تريدون أن تعطونى وأنا أسلمه إليكم فجعلوا له ثلاثين من الفضة ، مت ٢٦ : ١٤، ١٥ .

٢ – سلم المسيح لليهود واحد من تلاميذه

وقد تنبأ عن ذلك صاحب المزمور فقال ، لأن ليس عدو يعيرنى فأحتمل ليس مبغضى تعظم علىّ فأختبئ منه ، بل أنت إنسان عديلى إلفى وصديقى . الذى معه كانت تحلوا لنا العشرة إلى بيت الله كنا نذهب فى الجمهور ، مز ٥٥ : ١٢ – ١٤ . كما جاءت هذه النبوة فى مزمور آخر ، أيضا رجل سلامتى الذى وثقت به آكل خبزى رفع علىّ عقبه ، مز ٤١ : ٩ ، وتمت هذه النبوة وذكرها متى أيضاً قائلاً ، وفيما هو يتكلم إذا يهوذا واحد

من الاثنى عشر قد جاء ومعه جمع كثير بسيوف وعصى من عند رؤساء الكهنة ... فللوقت تقدم إلى يسوع وقال السلام ياسيد. وقبله . فقال له يسوع يا صاحب لماذا جئت حينئذ تقدموا وألقوا الأيادى على يسوع وأمسكوه ، مت ٢٦ :٤٧ ، ٤٩ ، ٥٠

٣ - الفضة التى أخذها يهوذا ثمناً لتسليم المسيح ألقيت إلى الفخارى

وهذه النبوة ذكرها زكريا بقوله ، فقال لى الرب ألقها إلى الفخارى الثمن الكريم الذى ثمنونى به فأخذت الثلاثين من الفضة وألقيتها إلى الفخارى فى بيت الرب ، زكريا ١١ :١٣ وتمت هذه النبوة ونقرأ عن إتمامها ، فطرح (يهوذا) الفضة فى الهيكل وانصرف ثم مضى وخنق نفسه فأخذ روساء الكهنة الفضة وقالوا لا يحل أن نلقيها فى الخزانه لأنها ثمن دم : فتشاوروا واشتروا بها حقل الفخارى مقبرة للغرباء ، مت ٢٧ : ٥ – ٧ ولاحظ أنه فى كل من النبوة وإتمامها تتحقق (١) أن الثمن كان من فضة (٢) وكان الثمن ثلاثين من الفضة مت ٢٧ :٣(٣) وأنه ألقى (٤) وقد ألقى فى بيت الرب (٥) وقد استخدمت الدراهم فى شراء حقل الفخارى .

٤ - تلاميذ السيد المسيح تركوه وهربوا

وتقول النبوة ، اضرب الراعى فتتشتت الغنم ، زكريا ١٣ :٧

وقد تمت حرفياً إذ نقرأ ، تركه التلاميذ وهربوا ، مت ٢٦ : ٥٦ (اقرأ أيضا مرقس ١٤ : ٥٠) .

٥ - الشهود الذين شهدوا ضد المسيح كانوا شهود زور :

وهذه هى النبوة ، شهود زور يقومون .وعما لم أعلم يسألوننى، مزمور ٢٥ : ١١ ، وتمت هذه النبوة فى يوم الصلب ،وكان رؤساء الكهنة والشيوخ والمجمع كله يطلبون شهادة زور على يسوع لكى يقتلوه . فلم يجدوا . ولكن أخيراً تقدم شاهدا زور، مت ٢٦ : ٥٩ .

٦ - ضرب المسيح ، بصق على وجهه

وقد جاء هذا فى النبوة القائلة ، بذلت ظهرى للضاربين وخدى للناتفين وجهى لم استر عن العار والبصق ، إش ٥٠ : ٦ وتمت هذه النبوة فى الكلمات ، حينئذ أطلق لهم (بيلاطس) باراباس وأما يسوع فجلده وأسلمه ليصلب ، متى ٢٧ : ٢٦ ،حينئذ بصقوا فى وجهه ولكموه وآخرون لطموه ، مت ٢٦ : ٦٧ وجدير بالملاحظة أن نرى التفاصيل المتفقة فى كل من النبوة وإتمامها فيسوع قد (١) ضُرب (٢) وضُرب على وجهه وكذلك على كل أجزاء جسمه (اقرأ لو ٢٢ : ٦٤) (٣) وبُصق عليه .

٧ - كان المسيح صامتاً أمام المشتكين عليه :

وهذا ما ورد فى النبوة ، ظُلم أما هو فتذلل ولم يفتح فاه

كشاة تساق إلى الذبح وكنعجة صامته أمام جازيها فلم يفتح فاه ، إش ٥٣ : ٧ وهذا ما جاء عن إتمامها ، وبينما كان رؤساء الكهنة والشيوخ يشتكون عليه لم يجب بشئ . فقال له بيلاطس أما تسمع كم يشهدون عليك فلم يجبه ولاعن كلمة واحدة حتى تعجب الوالى جداً ، مت ٢٧ : ١٢ - ١٤ .

٨ - جرح المسيح وسحق لأجل آثامنا

تقول النبوة ، وهو مجروح لأجل معاصينا مسحوق لأجل آثامنا تأديب سلامنا عليه وبحبره شفينا ، أش ٥٣ : ٥ وجاء إتمامها فى الكلمات ، فحينئذ أخذ بيلاطس يسوع وجلده وضفر العسكر إكليلاً من شوك ووضعوه على رأسه وألبسوه ثوب أرجوان وكانوا يقولون السلام ياملك اليهود وكانوا يلطمونه ، يو١٩ :١-٣ .

٩ - سقط المسيح تحت الصليب من فرط الاعياء

وهذا ما جاء فى النبوة ، ركبتى ارتعشتا من الصوم ولحمى هزل عن سمن ، مز ١٠٩ : ٢٤ ، وقد تمت هذه النبوة فى الكلمات ، فخرج يسوع وهو حامل صليبه ، يوم ١٩ : ١٧ - ولأنه لم يقو على حمل الصليب من فرط ضعفه نقراً ، ولما مضوا به أمسكوا سمعان رجلا قيروانياً ... ووضعوا عليه الصليب ليحمله خلف يسوع ، لو٢٣ : ٢٦ .

١٠ - ثقب الجنود يديه ورجليه على الصليب

وهذا ما جا فى النبوة ، لأنه قد أحاطت بى كلاب جماعة

من الأشرار اكتنفتنى ثقبوا يدى ورجلى ، مز ٢٢ : ١٦ وتمت هذه النبوه حرفياً ، ولما مضوا به إلى الموضع الذى يدعى جمجمة صلبوه هناك ، لو ٢٣ : ٣٣ ، وقد صلب المسيح له المجد بالكيفية التى اعتادها الرومان ، إذ ثقبوا يديه ورجليه بمسامير كبيرة حتى يثبت الجسد بالصليب وهذا ما نجده واضحاً فى إنجيل يوحنا إذ قال توما ، إن لم أبصر فى يديه أثر المسامير.. لا أومن ، ... وقد جاء السيد بعد قيامه وقاله له ، هات أصبعك وأبصر يدىّ ، يو ٢٠ ٢٥ ، ١٧ .

١١ - صلب المسيح مع لصوص

وقد قالت النبوة ، وأحصى مع أثمة ، إش ٥٣ : ١٢ وتمت فى الكلمات ، وصلبوا معه لصين واحداً عن يمينه وآخر عن يساره فتم الكتاب القائل وأحصى مع أثمه ، مر ١٥ : ٢٧ ، ٢٨ .

١٢ - صلب السيد لأجل مضطهديه

وهذه هى النبوة ، وشفع فى المذنبين ، إش ٥٣ : ١٢ وهذا إتمامها ، فقال يسوع يا أبتاه اغفر لهم لأنهم لا يعلمون ماذا يفعلون ، لو ٢٣ : ٣٤ .

١٣ - هز الناس رؤوسهم حينما رأوه على الصليب

قالت النبوة ،وأنا صرت عاراً عندهم ينظرون إلى وينغضون

رؤوسهم، مز ١٠٩ : ٢٥ وتمت فى القول «وكان المجتازون يجدفون عليه وهم يهزون رؤوسهم» مت ٢٧ : ٣٩ .

١٤ - استهزأ الناس بالمسيح المصلوب

وجاء هذا فى النبوة « قائلين اتكل على الرب فلينجه لينقذه لأنه سر به » مز ٢٢ :٨ لاحظ عدد ٧ . وتمت النبوة تماماً إذ نقرأ « وكذلك رؤساء الكهنة أيضاً وهم يستهزئون مع الكتبة والشيوخ قالوا .. قد اتكل على الله فلينقذه الآن إن أراده » مت ٢٧ :٤١، ٤٣ .

١٥ - نظر الشعب باستغراب إلى شخص المصلوب

وهذا ما قالته النبوه « وهم ينظرون ويتفرسون فىَّ » مز ٢٢: ١٧ وهذا إتمامها « وكان الشعب واقفين ينظرون » لو ٢٣ :٣٥ .

١٦ - اقتسم الجنود ثياب المسيح وألقوا عليها القرعة

وقد ذكرت النبوه هذا بالقول « يقسمون ثيابى بينهم وعلى لباسى يقترعون » مز ٢٢ :١٨ ، وجاء إتمامها فى الكلمات « ثم أن العسكر لما كانوا قد صلبوا يسوع أخذوا ثيابه وجعلوها أربعة أقسام لكل عسكرى قسماً وأخذوا القميص أيضا وكان القميص بغير خياطة منسوجاً كله من فوق فقال بعضهم لبعض لا نشقه بل نقترع عليه لمن يكون ليتم الكتاب القائل اقتسموا ثيابى بينهم وعلى لباسى ألقوا قرعة » يو ١٩ :٢٣ . ٢٤ ، وما أدق هذه النبوة

الموحى بها ، فثياب المسيح قُسمت بين العسكر ، وأما القميص فلكى لا يمزقوه ألقوا عليه القرعة ووقع من نصيب أحدهم ، وهذه حقائق كانت تبدو حسب الظاهر متضادة لولا أن أوضحتها حوادث الصليب .

١٧ - صرخ المسيح صرخة الإحساس بالهجران

وتقول النبوة فى مزمور الصليب « إلهى إلهى لماذا تركتنى» مز ٢٢ : ١ وقد تمت فى القول « فصرخ (يسوع) بصوت عظيم قائلا إلهى إلهى لماذا تركتنى » مت ٢٧ : ٤٦ .

١٨ - أعطوه مراً وخلاً

وهذه هى النبوة « ويجعلون فى طعامى علقماً وفى عطشى يسقوننى خلاً » مز ٦٩ : ٢١ ، وهذا اتمامها « وبعد هذا ... قال أنا عطشان وكان إناء موضوعاً مملوءاً خلاً فملأوا أسفنجة من الخل ووضعوها على زوفا وقدموها إلى فمه » يو ١٩ : ٢٨ ، ٢٩

١٩ - استودع روحه فى يدى الآب

وقد قالت النبوة « فى يدك استودع روحى » مز ٣١ : ٥ .

وجاء اتمامها فى الكلمات « ونادى يسوع بصوت عظيم وقال يا أبتاه فى يدك أستودع روحى » لو ٢٣ : ٤٦ .

٢٠ - أصحاب المسيح وقفوا بعيداً

وهذه هى النبوة « أحبائى وأصحابى يقفون تجاه ضربتى

وأقاربي وقفوا بعيداً، مز ٣٨ : ١١ ، وتمت حرفياً، وكان جميع معارفه ونساءكن قد تبعته من الجليل واقفين من بعيد ينظرون ذلك، لو ٢٣ : ٤٩ .

٢١ - لم تكسر عظام المسيح

وإليك ما جاء في النبوة ، يحفظ جميع عظامه واحد منها لا ينكسر، مز ٣٤ : ٢٠ ، وما جاء عن اتمامها ، وأما يسوع فلما جاءوا إليه لم يكسروا ساقيه لأنهم رأوه قد مات . لأن هذا كان ليتم الكتاب القائل عظم لا يكسر منه، يو١٩ : ٣٣ ، ٣٦ ، ويليق بنا أن نقف عند نبوتين أخريين بخصوص عظامه ، ففي مزمور ٢٢ : ١٤ يقول ، انفصلت كل عظامي ، فالتعليق على الصليب من اليدين والرجلين كاف بأن يفصل عظامه خصوصاً عندما نتذكر أن جسده علق على الخشبة وهي موضوعة على الأرض ، وفي مزمور ٢٢ : ١٧ نقرأ ، أحصي كل عظامي ، ، ونقدر أن نفهم هذه العبارة عندما نعرف أن المسيح قد ترك معلقاً على الصليب عرياناً. يوحنا ١٩ : ٢٣ ، ولذا فقد كان من الممكن أن ترى عظامه وهو في هذا الوضع الأليم ، إذ أن امتداد الجسد، وآلام الصلب جعلت العظام واضحة حتى كان من الممكن أن تعد.

٢٢ - ذاب قلب المسيح على الصليب

وهذا ما ذكرته النبوة ، صار قلبي كالشمع قد ذاب في وسط

أمعائى ، مز ٢٢ : ١٤ ، وتمت النبوة فى الكلمات ، لكن واحداً من العسكر طعن جنبه بحربة وللوقت خرج دم وماء ، يو ١٩ : ٣٤.

ويقيناً أن خروج الدم والماء من الجنب المطعون ، يدل دلالة أكيدة على أن القلب قد انفجر حقيقة .

٢٣ - طعنوه في جنبه

وإليك النبوة ، فينظرون إلى الذى طعنوه ، زك ١٢ : ١٠ وإليك اتمامها ، لكن واحداً من العسكر طعن جنبه بحربة ، يو ١٩ : ٣٤ (اقرأ أيضاً الأعداد ٣٥ – ٣٧)

٢٤ - ظلام يوم الصلب

قالت النبوة ، ويكون فى ذلك اليوم يقول السيد الرب أنى أغيب الشمس فى الظهر وأقتم الأرض فى يوم نور ، عاموس٧:٩ وتمت هذه النبوة إذ نقرأ ، ومن الساعة السادسة كانت ظلمة على كل الأرض إلى الساعة التاسعة ، مت ٢٧ : ٤٥ ، وجدير بالذكر أن نقول : ، إن اليهود كانوا يحسبون اليوم اثنتى عشرة ساعة من شروق الشمس إلى غروبها – و معنى ذلك أن الساعة االسادسة هى الظهر تماماً ، وأن الساعدة التاسعة توافق الساعة الثالثة بعد الظهر، .

٢٥ - دفن في قبر إنسان غني مع أنه مات مع لصين

وهذا ما ذكرته النبوة ، وجعل مع الأشرار قبره ومع غنى

عند موته ، إش ٥٣ : ٩ ، وقد تمت النبوة تماما فى الكلمات ، ولما كان المساء جاء رجل غنى من الرامة اسمه يوسف وكان هو أيضاً تلميذاً ليسوع فهذا تقدم إلى بيلاطس وطلب جسد يسوع فأخذ يوسف الجسد ولفه بكتان نقى ، ووضعه فى قبره الجديد ، مت٢٧ : ٥٧ – ٦٠ .

هذه النبوات الواضحة الصريحة ، التى شغلت مئات السنين، ما معنى أن تتم حرفيا فى شخص واحد وخلال يوم واحد ؟

إن إتمام هذه النبوات يقدم لكل عقل بعيد عن الغرض برهاناً قوياً ، على أن الكتاب المقدس موحى به من الله الذى يعرف النهاية من البداية ، وعلى أن العهد القديم هوعهد الرموز والنبوات التى تشير كلها إلى شخص المسيح ، وعلى أن اليهودية هى ديانة الرموز والظلال ، التى كان لابد أن تأتى المسيحية بعدها لأنها ديانة الحق المتجسد فى يسوع المصلوب ، وعلى أن يسوع المسيح هو فعلاً وحقاً مخلص البشرية ، وعلى أن اتمام هذه النبوات كان ، لكى تكمل كتب الأنبياء ، مت ٢٦ : ٥٦ فى المخلص الموعود به من الله ، كما يقول يوحنا التلميذ الحبيب ، وأما هذه فقد كتبت لتؤمنوا أن يسوع المسيح هو ابن الله ولكى تكون لكم إذا آمنتم حياة باسمه ، يوحنا ٢٠ : ٣١ .

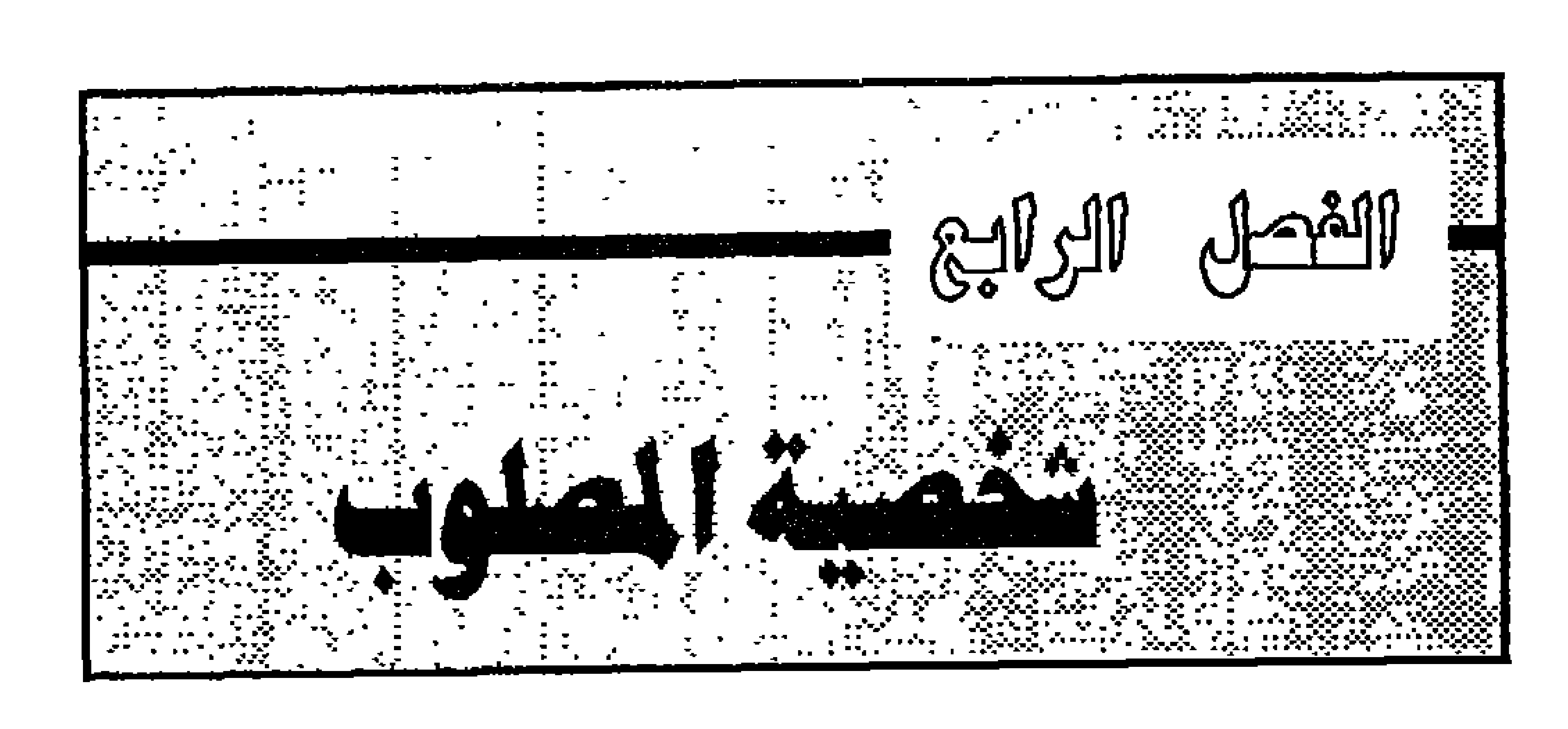
فان كلمة الصليب

عند الهالكين جهالة

وأما عندنا نحن المخلصين

فهى قوة الله .

اكو١ :١٨


الفصل الرابع
شخصية المصلوب

كان الصليب قبله لعنة كبرى ، لأنه مكتوب ملعون كل من علق على خشبة ، غلا ٣ : ١٣ ، لكنه أضحى بعد أن صلب هو عليه زينة للتيجان ، وحافزاً للخدمة والتضحية فى كل ميدان .

فمن هو هذا الشخص الذى حوّل الصليب الملعون إلى صولجان يقود به جماهير الشعوب ؟ !! هل هو مجرد نبى ظهر فى فلسطين ؟ أم هو مصلح اجتماعى أراد أن يرفع حياة البشر ؟ أم هو عبقرى فذ من عباقرة التاريخ ؟ أم هو صاحب رسالة جاء ليؤدى الرسالة التى آمن بها ؟ أم هو فوق الأنبياء ، والمصلحين ، والعباقرة ، وأصحاب الرسالات ؟

لقد ظهر فى التاريخ عشرات من الرجال العظام أمثال سقراط، وأفلاطون، وأرسطو، والاسكندر ، ونابليون ، وتولستوى ، وبوذا، وكونفوشيوس، وغاندى، لكن هؤلاء جميعاً يبدون كالشهب، أمام نور هذا الكوكب !! أجل فيسوع المسيح أعظم من

كل هؤلاء ، وفوق كل هؤلاء !! ويذكر دكتور زويمر عدة أسباب تؤكد عظمة شخصية المسيح ، وأول هذه الأسباب . أن التاريخ نفسه قد وضع المسيح فى مركز مسرحه العظيم ، فكل حادثة تؤرخ من تاريخ ميلاده ، وكل الصحف ، والمجلات ، والكتب فى الشرق والغرب تحصى الزمن ابتداء من هذا التاريخ، الذى صار حداً فاصلاً فى حياة البشر ، كسهم من النور شق كبد الليل، ففصل بين فحمة الظلام وسناء السحر .

أما السبب الثانى الذى يؤكد عظمة المسيح فهو : أنه أجاب إجابات قاطعة عن كل الأسئلة العميقة الصعبة التى جالت بعقول الفلاسفة فأراق نوراً ساطعاً على الحياة والمصير !! والحق والشخصية !! والله والطبيعة !! وأجاب عن أسئلة المفكرين المتسائلين : أين نحن ؟ وإلى أين المصير ؟ ولماذا نحن فى هذا العالم الشرير ؟ وما سر الألم فى حياة البشر ؟ ! أجل أجاب المسيح عن كل هذه الألغاز العسيرة الفهم إجابات جامعة مانعة !!

وهناك سبب ثالث يؤكد عظمة شخصية المسيح ، وهو أن الفن فى بلدان الغرب ، وفى آسيا وأفريقيا ، قد طرح عند قدمى الناصرى أبدع ما جاد به من تحف .. فالموسيقى الأوروبية قد سمت إلى أوج جمالها وجلالها فى ألحان « هاندل » ، « موزار » التى ألفاها لتمجيد المسيح ، والحجارة الصماء نطقت فى جلال وروعة لحياة المسيح وفن البناء قد وصل إلى أعلى ذرى الجلال

حين شاد المهندسون الكاتدرائيات الكبرى لأجل المسيح .

وفوق هذا كله فإن المسيح فى كل الأديان هو المقياس الأعلى للأخلاق ، قال هذا الغزالى حجة الإسلام ، وأكده جلال الدين الرومى ، واعترف به غاندى، وإلى اليوم لم يستطع مؤرخ، ولم يجرؤ ملحد على أن يقول إنه عثر فى حياة المسيح على مسة من الإثم أو مسحة من الضعف .

فهل يمكن أن نمر بشخصية كهذه دون أن نعطيها حقها من الدرس ، ونعرف مقوماتها الضخمة العميقة .

إن الإخلاص للنفس يدفع المرء إلى التساؤل عن حقيقة شخصية المسيح ، ذلك لأنه بالنسبة للموقف الذى يقفه الإنسان بإزاء هذه الشخصية يتوقف مصيره فى الأرض ، وفى الحياة الآتية ، ولكى نتحقق شخصية المسيح ، لابد لنا أن نعرف شهادة أصدقائه ، وشهادة أعدائه ، وشهادته هو عن نفسه ، وشهادة الله عنه .

شهادة الحواريين :

سأل السيد المسيح يوماً تلاميذه قائلاً : من يقول الناس أنى أنا ابن الإنسان ؟ فقالوا قوم يوحنا المعمدان . وآخرون إيليا . وآخرون إرميا أو واحد من الأنبياء ، قال لهم وأنتم من تقولون إنى أنا ؟ فأجاب سمعان بطرس وقال : أنت هو المسيح ابن الله

الحى فأجاب يسوع وقال له طوبى لك يا سمعان ابن يونا إن لحماً ودماً لم يعلن لك لكن أبى الذى فى السموات ، مت ١٦ : ١٣ - ١٧ .

فالحواريون آمنوا بأن المسيح هو « ابن الله الحى » ، ولا يغرب عن بالنا أن هؤلاء الحواريين كانوا يهوداً من الذين يعرفون الوصية القائلة « أنا هو الرب إلهك الذى أخرجك من أرض مصر.. لا يكن لك آلهة أخرى أمامى » تث ٥ : ٦ ، ٧ ، ومع ذلك فإنهم رغم اطلاعهم عن قرب على حياة السيد المسيح، وتدوينها للناس بما فيها من فقر وتعب ونوم وأكل وحزن وأنين ودموع وموت ، فإنهم عبده وقدموه للناس كالمخلص وصلوا باسمه ، واعترفوا بأنه « ابن الله الحى » ويوحنا الذى اتكأ على صدره أعلن بأنه الكلمة الأزلى وسجل فى غير تردد ما فعله توما حين سجد له قائلاً « ربى وإلهى » يو ٢٠ : ٢٨ ، وفى هذا كله ما يثير فى العقل المخلص التفكير !!

ونجد إلى جوار اعتراف الحواريين إشارة إلى « صيت المسيح أو سمعته » ، وشهادة عن « أخلاقه » فيما ذكره الحواريون للسيد عن آراء الناس فيه ، ويجدر بنا أن نفهم أن « الصيت » ليس هو الأخلاق فصيت الإنسان هو الظل الذى يلازمه فى نور النهار ، وقد يكون طويلاً أو قصيراً ، وقد يكون مجرد شائعات لا أساس لها فى حياة صاحبها !! أما الأخلاق فهى ما تنطوى عليه

النفسية فى الظلمة عندما يختلى المرء إلى ربه وضميره . والآراء التى ذكرها تلاميذ المسيح فى معرض حديثهم ، ترينا الصور المرتسمة فى أدمغة الناس عنه ، وكل صورة من هذه الصور ترسم ناحية من نواحى العظمة الحقيقية التى تجلت فى شخصه الكريم . فقد قال بعضهم « إنه يوحنا المعمدان » فرأوا فيه داعية التوبة ، وموبخ الخطية والرياء والتستر ، ورجل الشجاعة الأدبية المنادى بعصر جديد ، وقد كان يسوع المسيح هذا كله ، بل أكثر من هذا كله .

وقال آخرون : إنه « إيليا » نبى الله ، ورجل الصلاة ، وصانع المعجزات . وقطعاً كان يسوع المسيح أعظم من إيليا .

وقال آخرون إنه : « ارميا » رجل الأوجاع ومختبر الحزن الذى بكى على شعبه المرتد ، والذى تقوس ظهره تحت عبء خطاياهم وقد كان يسوع المسيح ، رجل أوجاع وأحزان ، بكى على أورشليم العاصية ، وكسر فؤاده لأجل خطايا البشرية ، ولكنه كان أعظم من أرميا بغير جدال .

شهادة الأعداء :

والآن ! ما هى شهادة أعداء المسيح عنه ؟ فى مرة أرسل رؤساء اليهود خداماً ليقتنصوا يسوع . ويقبضوا عليه ويأتوا به إليهم ، لكن الخدام عادوا دون أن يلقوا الأيادى على المسيح ولما

سألهم الرؤساء : لماذا لم تأتوا به ؟ أجاب الخدام « لم يتكلم قط إنسان هكذا مثل هذا الإنسان » يو ٧ : ٤٦ .

ويهوذا بعد أن باعه لرؤساء الكهنة والشيوخ ثارعليه ضميره ورد الثلاثين من الفضة إليهم قائلاً « قد أخطأت إذ سلمت دماً بريئاً »

وبيلاطس الوالى الرومانى لما رأى فشل محاولاته لإنقاذ المسيح من الموت ، أخذ ماء وغسل يديه قدام الجمع قائلاً « إنى برئ من دم هذا البار » مت ٢٧ : ٢٤ .

ورؤساء الكهنة قالوا عنه وهو على الصليب « خلص آخرين وأما نفسه فما يقدر أن يخلصها » مت ٢٧ : ٤٢ .

وقائد المئة الذى تولى عملية الصلب ، والذين معه يحرسون يسوع قالوا « حقاً كان هذا ابن الله » مت ٢٧ : ٥٤ .

شهادة المسيح عن نفسه

ودعونا نخلع أحذيتنا من أرجلنا ، ونستمع إلى المسيح وهو يشهد لنفسه ، فشهادته لها كل الاعتبار ، ذلك لأن قصة حياته فريدة لا تدانيه قصة أخرى لعظيم من العظماء ، كما قال نابليون بونابرت وهو يتحدث في منفاة إلى الجنرال « برترند » عن شخصه الكريم « إن المقارنة بين يسوع وغيره من البشر مستحيلة : لأنه فى مكانة خاصة به لا يدانية فيها أحد .

فولادته، وقصة حياته ، وعمق تعليمه هذه كلها أسرار عميقة تدفعنى إلى التأمل والتفكير العميق ، ومع ذلك فلست أستطيع أن أنكرها أو أعللها » .

أجل ! إن شخصية المسيح فوق كل الشخصيات !! فقد كان معجزة فى ميلاده إذ ولد من عذراء قديسة بغير رجل ، وكان معجزة فى حياته إذ عاش بلا خطيئة ، وكان هو رب المعجزات، فأسكت البحر والرياح ، وشفى الأبرص ، وأعاد إلى الأكمة البصر ، وجعل المقعد يقفز كالأيائل ، دون أن يطلب ممن شفاهم أجراً !! وأقام الموتى من قبورهم ، فأعلن قدرته على الموت .

فلنصغ إذاً فى وقار واحترام وخشوع إلى شهادته عن نفسه فقد قال « أنا هو الطريق والحق والحياة » يو ١٤ : ٦ « أنا هو نور العالم . من يتبعنى فلا يمشى فى الظلمة بل يكون له نور الحياة» يو ٨ : ١٢ « أنتم من أسفل أما أنا فمن فوق » يو ٨ : ٢٣ « أنا فى الآب والآب فىّ » يو ١٤ : ١٠ « الذى رآنى فقد رأى الآب » يو١٤ : ٩ « قبل أن يكون إبراهيم أنا كائن » يو ٨ : ٥٨ « إن ههنا أعظم من الهيكل » مت ١٢ : ٦ « هوذا أعظم من يونان ههنا» مت ١٢ : ٤١ « هوذا أعظم من سليمان ههنا » مت ١٢ : ٤٢ «تعالوا إلىّ يا جميع المتعبين والثقيلى الأحمال وأنا أريحكم » مت ١١ : ٢٨ .

ويقف الباحث المدقق أمام أقوال المسيح أحد موقفين ، فإما

أن يقرر بأن هذه الأقوال مجرد إدعاءات لا أساس لها من الصحة، ومعنى هذا أن يكون المسيح أكبر مجدف ظهر فى التاريخ . لأنه أدّعى أنه نور العالم . ، والطريق والحق والحياة ، وأنه من فوق وليس من هذا العالم ، وأنه فى الآب والآب فيه ، وأن الذى رآه فقد رأى الآب ، وأنه كائن قبل إبراهيم ، وأنه أعظم من الهيكل وليس أعظم من الهيكل غير الله الذى يُعبد فيه، وأنه أعظم من يونان ، ومن سليمان ، وأنه يستطيع أن يريح جميع المتعبين والثقيلى الأحمال ، وهذه كلها إدعاءات فوق طاقة الإنسان البشرى ، أو أن يقرر بأن ما قاله المسيح هو الصدق الكامل والحق الصراح !! والمنطق السليم يرينا أن المسيح قد تكلم الصدق الكامل ، ذلك لأن مقدمات حياته . ترسم خطوط نتائج هذه الحياة ، فذاك الذى ولد من عذراء ، وعاش بلا خطية وأجرى هذه المعجزات هو يقيناً شخص منزه عن الكذب ، وإذا فلا بد أن يكون ما قاله عن نفسه هو الحق الذى لا يأتيه الشك من بين يديه ولا من خلفه ، وإذاً فالمسيح هو « ابن الله » .

شهادة الله :

ومع كل ما تقدم من شهادات عندنا أيضاً شهادة الله ، فثلاث مرات نقرأ أن الحجاب بين السماء والأرض قد انشق ، ثلاث مرات شذت السماء عن صمتها وتكلم الله ليشهد للمسيح

الكريم، أول مرة عند معمودية المسيح فى نهر الأردن ، إذ عندما صعد من الماء ، وإذ السموات قد انفتحت له فرأى روح الله نازلاً مثل حمامة وآتياً عليه . وصوت من السموات قائلاً : هذا هو ابنى الحبيب الذى به سررت ، مت ٣ : ١٦ ، ١٧ .

والمرة الثانية حين كان فوق جبل التجلى ومعه يعقوب وبطرس ويوحنا ، وإذا بوجهه يلمع كالشمس وثيابه تصير بيضاء كالنور وإذا موسى وإيليا قد ظهرا لهم يتكلمان معه .. وإذا سحابة نيرة ظللتهم وصوت من السحابة قائلاً: ، هذا هو ابنى الحبيب الذى به سررت له اسمعوا ، مت ١٧ : ٣ ، ٥ ، وقد طبعت هذه الحادثة آثاراً عميقة فى عقل بطرس ، فكتب عنها فى رسالته الثانية قائلاً ، لأننا لم نتبع خرافات مصنعة إذ عرفناكم بقوة ربنا يسوع المسيح ومجيئه بل كنا معاينين عظمته لأنه أخذ من الله الآب كرامة ومجداً إذا أقبل عليه صوت كهذا من المجد الأسنى هذا هو ابنى الحبيب الذى أنا سررت به . ونحن سمعنا هذا الصوت مقبلاً من السماء إذ كنا معه فى الجبل المقدس ، ٢ بط ١ : ١٦ - ١٨ .. أما المرة الثالثة التى تكلم فيها الله شاهداً لمجد يسوع وعظمته فكانت عندما زاره نفر من اليونانيين فى الهيكل بأورشليم ، فبينما كان يسوع يصلى قائلاً ، أيها الآب مجد اسمك.. فجاء صوت من السماء مجدت وأمجد أيضاً . فالجمع الذى كان واقفاً وسمع قال قد حدث رعد . وآخرون قالوا قد كلمه ملاك . أجاب يسوع وقال ليس من أجلى صار هذا

الصوت بل من أجلكم ، يو ١٢ : ٢٨ - ٣٠ وكل هذه الشهادت تؤكد لنا أن المسيح هو ، ابن الله ، !!

لكن ماذا تعنى العبارة ، ابن الله ؟ ، هل تعنى أن الله اتخذ له ولداً سبحانه ؟ أم أن لها معنى خاص فى كتابات الوحى المقدس ؟.

لقد فهم اليهود من هذا التعبير أن المسيح يقصد مساواته بالله أو الآب !! يو ٥ : ١٨ .

ويقيناً أن كلمة ابن الله لا تعنى أن الله اتخذ له ولداً ، لأن اللهَ لم يولد ولم يلد ، ولكنها تعنى صلة سرية خاصة فريدة بين الله والمسيح ، فكما يقال والقياس مع الفارق ، ولد العين ، تعبيراً لوصف جوهر العين كذلك المسيح هو ، رسم جوهر الله ، عب ١ : ٣ وهو ، ابن الله ، بهذا المعنى أى أنه تعبير الله عن ذاته تعالى كما يقول كاتب الرسالة إلى العبرانيين ، الله بعد ما كلم الآباء بالأنبياء بأنواع وطرق كثيرة كلمنا فى هذه الأيام الأخيرة فى ابنه ، عب ١ : ١ ، وجدير بنا أن نلاحظ أن الله كلم الآباء بالأنبياء ، أى بواسطة الأنبياء ، ولكنه كلمنا فى هذه الأيام الأخيرة ، فى ابنه ، أى جاء هو فى ابنه ، أو كما يقول يوحنا فى غرة إنجيله ، فى البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله وكان الكلمة الله ... والكلمة صار جسداً وحل بيننا .... الله لم يره أحد قط الابن الوحيد الذى هو فى حضن الآب هو خبر ، يو ١ : ١ ،

١٤ ، ١٨ فالمسيح هو ابن اللهً بمعنى أنه كلمة الله ، والكلمة هى الوسيلة التى يعبر بها الشخص عن وجوده ، وأفكاره ، ويتصل بها مع غيره ! وإذا تساءل الإنسان ، ليت شعرى ما هو شبه الله؟، فالجواب السديد على هذا هو المسيح المكتوب عنه ، الكلمة صار جسداً وحل بيننا ، فهو ، صورة الله غير المنظور ، و ، بهاء مجده ورسم جوهره ، وهو الذى أعلن لنا صفات الله ، وأظهر لنا بحياته وموته على الصليب مكنونات قلبه .

ومع أن المسيح هو ابن الله ، كذلك هو ابن الإنسان ، وكما قال عن نفسه إنه ابن الله فى قوله ، ليس أحد يعرف الابن إلا الآب ولا أحد يعرف الآب إلا الابن ومن أراد الابن أن يعلن له ، مت ١١ : ٢٧ ، كذلك أعلن أنه ابن الإنسان فى قوله ، لأن ابن الإنسان قد جاء لكى يطلب ويخلص ما قد هلك ، لو ١٩ : ١٠ فهو ، ابن الإنسانية ، الذى ولد لكى يمثل الإنسان ، ويشاركه فى أتعابة ، وضعفة وآلامه ، ويجرب تعبه ، وحزنه وبكاءه ، وهو ،ابن الله ، الذى جاء لكى يخلص الإنسان !

والجواب على ذلك أن هناك عدة مميزات ضرورية لشخصية الفادى لا يمكن أن تنطبق إلا على شخص يكون إنساناً وإلهاً معاً ، وسندرس فيما يلى من حديث هذه المميزات لنرى مدى انطباقها على شخص المسيح الكريم .

١ - المميز الأول لشخص الفادى هو أن يكون مساوياً لمن يفديهم : فالفادى الذى يتصدى لفداء البشر يجب أن يكون إنساناً ، له جسم من اللحم والدم ، وعلى هذا فإن أى ملاك ليس فى مقدوره أن يقوم بعملية الفداء ، لأن الملاك روح ، وهو فى مركز يخالف مركز البشر ، ولذا فهو لا يستطيع أن يفديهم .

وكذلك الحيوان لا يصلح لفداء البشر ، لأنه ليس منهم ولا فى درجتهم ولذا فإن دمه لا يرفع خطاياهم كما يقول كاتب العبرانيين ، لأنه لا يمكن أن دم ثيران وتيوس يرفع خطايا لذلك عند دخوله إلى العالم يقول ذبيحة وقرباناً لم ترد ولكن هيأت لى جسداً بمحرقات وذبائح للخطية لم تسر ، عب ١٠ : ٤ .

إذاً فلماذا أمر الله بنى إسرائيل بتقديم الذبائح الحيوانية للتكفير عن خطاياهم ؟ ومع أننا أجبنا على هذا السؤال فى فصل سابق إلا أننا نقرر من جديد : أن الله وهو يتعامل مع شعبه فى أيام بداوته كان يريد أن يظهر للناس خطورة الخطية ، وعاقبتها المرة القاسية بوسائل محسوسة تقدر عقولهم البدائية على فهمها وإدراكها ، فكان لابد أن يصور لهم الموت ، وهو أجرة الخطية بعملية يمكنهم رؤيتها بعيونهم ، وفهم فحواها بعقولهم ، ففى الذبيحة الحيوانية يعلن للخاطئ الأثيم ما يستحقه من موت مجسماً من ناحيته الزمنية فى ذبح الحيوان ومن ناحيته الأبدية فى حرقة بالنار ، فكان الخاطئ فى عقليته البدائية يدرك بهذه

الكيفية الملموسة أن أجرة الخطية هى موت بالنسبة للحياة الجسدية الأرضية ، وحرق فى جهنم حيث الدود لا يموت والنار لا تطفأ بعد الدينونة النهائية ، ولكن هذه الذبائح لم يكن لها سلطان البتة أن تنزع الخطايا إذ لم تكن سوى رمز للفادى الآتى.

ومادام البشر أنفسهم فى حاجة إلى ذبائح للتكفير عنهم ، فمعنى هذا ضمناً أن أحداً من البشر لا يستطيع أن يفدى البشرية الساقطة ، « لأنه لا فرق إذ ا الجميع أخطأوا وأعوزهم مجد الله » رو ٣ : ٢٢ ، ٢٣ « وأجرة الخطية هى موت » فهل فى مقدور من حكم عليه بالموت أن يفدى شخصاً آخر تحت ذات الحكم ؟ وكيف يستطيع المفلس أن يسدد ديون المفلسين ؟ !

إذن فأين نجد الشخص الذى يمكن أن نعتبره من البشر ، وفى ذات الوقت يساوى البشر أجمعين ليستطيع أن يقدم ذبيحة كافية عن البشر منذ سقط آدم إلى اليوم الأخير ؟ !

هنا يظهر لنا شخص المسيح فى مجده وعظمته ، فهو إنسان باعتباره قد تجسد من مريم العذراء ، لأنه « أخلى نفسه آخذاً صورة عبد صائراً فى شبه الناس وإذ وجد فى الهيئة كإنسان وضع نفسه وأطاع حتى الموت موت الصليب » فى ٢ : ٥ - ٨ وهو مساو للبشرية بأسرها باعتباره خالق البشرية كما يقول عنه يوحنا « كل شئ به كان وبغيره لم يكن شئ مما كان فيه كانت الحياة والحياة كانت نور الناس » يو ١ : ٣ ، ٤ ، ومن هنا نرى أن هذا المميز قد وجد فى شخص المسيح باعتباره

«الإنسان» ، «وخالق الإنسان» في وقت ...

٢ - المميز الثاني لشخص الفادي هو أن يكون خالياً من الخطية : لقد رأينا موكب البشرية رازحاً بجميع أفراده تحت وطأة الخطية ، لكن الفادى يجب أن يكون شخصاً كاملاً لم يرث الخطية ، وليس لها وجود فى حياته ، وقطعا لا يستطيع أحد من الأنبياء ، أو القديسين ، أو البشر العاديين أن يدّعى هذا الادعاء، فداود وهو أحد الكتاب الملهمين يقرر هذه الحقيقة « هاأنذا بالإثم صورت وبالخطية حبلت بى أمى » مز ٥١ : ٥ وبولس الرسول يكتب قائلاً « من أجل ذلك كإنما بإنسان واحد دخلت الخطية إلى العالم وبالخطية الموت وهكذا اجتاز الموت إلى جميع الناس إذ أخطأ الجميع » رو ٥ : ١٢ ومن هذه الكلمات نرى حقيقة عمومية الخطية ، وندرك أن كل بشر يولد وفى قلبه بذرة الشر والعصيان.

لكن شخص المسيح المبارك كان خالياً من الخطية يؤكد لنا هذه الحقيقة كلمات الملاك ليوسف خطيب مريم حين قال له فى الحلم « يا يوسف ابن داود لا تخف أن تأخذ مريم امرأتك . لأن الذى حبل به فيها هو من الروح القدس » مت ١ : ٢٠

وعلينا أن نذكر هذه الحقيقة وهى : أنه مع أن المسيح تجسد فى صورة بشر ، لكن جسده كان معداً بترتيب خاص ، كما

يقول كاتب العبرانيين « ذبيحة وقرباناً لم ترد ولكن هيأت لي جسداً » عب ١٠ : ٥ وقد كان هذا الجسد هو شبه جسد الخطية ولكنه كان بلا خطية ، كما كانت الحية النحاسية في شكل الحية الحقيقية لكنها خالية من سمها ، وكما يقول بولس الرسول « فالله إذ أرسل ابنه في شبه جسد الخطيه ولأجل الخطية دان الخطية في الجسد » رو ٨ : ١ ، وقد حبل بهذا الجسد من الروح القدس كما قال جبرائيل الملاك للعذراء « الروح القدس يحل عليك وقوة العلي تظللك فلذلك أيضاً القدوس المولود منك يدعى ابن الله » لو ١ : ٣٥ وكما خلق آدم الأول خالياً من الخطية كذلك كان لا بد أن يولد آدم الثاني خالياً من الخطية ، فالمسيح له المجد «قدوس بلا شر ولا دنس انفصل عن الخطاة وصار أعلى من السموات » عب ٧ : ٢٦ ، لم يرث خطية آدم في جسده كما قال عن نفسه « رئيس هذا العالم يأتي وليس له فيّ شئ » يو ١٤ : ٣٠ ، ولذا فالرسول يكتب عنه قائلاً « لأنه فيه سر أن يحل كل الملء » ، « فإنه فيه يحل كل ملء اللاهوت جسدياً » كو ١ : ١٩ ، ٢ : ٩ فجسد المسيح الكامل المهيأ ، كان هو مسكن الله عندما جاء ليصالح البشر ويوفي قصاص خطاياهم ، ولذا فقد كان له من كفايته الشخصية قدرة على فداء البشر أجمعين ، وبهذا استطاع أن يحمل « خطايانا في جسده على الخشبة لكي نموت عن الخطايا فنحيا للبر » ١ بط ٢ : ٢٤ .

٣ – المميز الثالث لشخص الفادي هو أن يثبت بالتجربة كماله بعصمته عن الخطية : خلق الله آدم الأول في حالة البر

والقداسة والكمال ، لكن آدم الأول أصغى لصوت الحية ،وسقط في الخطية وهكذا أسقط معه الجنس البشرى كله باعتباره رأسه والنائب عنه !! وكـان لابد إذاً من وجـود شـخص خـال من الخطية، يثبت بالامتحان أنه معصوم عنها ، وقد انتصرعليها ، حتى يستطيع أن يفدى البشر الرازحين تحت سلطانها !! فهل استطاع نبى من الأنبياء أو رسول من الرسل أن يحيا فى عصمة من الخطية طوال حياته ؟ الكتاب المقدس يقرر لنا أنه « لا إنسان صديق فى الأرض يعمل صلاحاً ولا يخطئ » جا ٧ : ١٠ .

أما شخص المسيح الكريم فقد قضى حياته كلها دون أن يفعل خطية كما يشهد عنه بطرس الرسول قائلاً « الذى لم يفعل خطيـة ولا وُجد فى فمـه مكر » ١ بط ٢ : ٢٢ فقد عـاش على أرضنا الذى استشرى فيها وباء الخطيـة أكثر من ثلاث وثلاثين سنة ، وأحـاط به الأشرار فى كل مكان ، فأكل معهم وتحدث إليهم ، وجرب من إبليس فى البرية وفـوق الصليب لكنـه دحر إبليس فى كل معركـة ، ولم يستطع أحد أن يلوث حياته بمسة من إثم ، ولذلك يقول عنه كاتب الرسالة إلى العبرانيين « مجرب فى كل شئ مـثلنا بلا خطيـة » عب ٤ : ١٥ ويتحـدى له المجد الفريسيين الذين كرهوه ، وفتحوا عيونهم علهم يرون فى حياته نقطة ضعف ، أو لمحة خطية قائلاً لهم « من منكم يبكتنى على خطية » يو ٨ : ٤٦ !! فهل استطاعوا أن يجدوا فيه شراً !! كلا !

إنهم هربوا من أمام نور وجهه فى خوف ورهبة !

وبيلاطى الوالى الرومانى يقرر عنه هذا التقرير الرسمى الواضح « لست أجد فى هذا الإنسان علة » .

هو إذاً الظافر المنتصر ، الذى أثبت بالامتحان الصعب ظفره وانتصاره ، وجاز الامتحان فى نجاح تام عجيب ، ولذا فهو وحده الذى يقدر أن يفى العدالة حقها ، وأن يخلص البشر الساقطين ، ويعين المجربين .

٤ - المميز الرابع لشخص الفادى هو أن يكون ملكا لنفسه حتى يستطيع أن يقدم نفسه فداء لغيره : إن المخلوق هو بطبيعة الحال ملك لخالقه ، وبالتالى فهو لايستطيع أن يتصرف فى نفسه كما يشاء لأنه لا يملك نفسه ، كل بشر دب على هذه الأرض هو أحد خلائق الله ، فنحن إذاً نحتاج إلى فاد غير مخلوق ليكون ملكاً لنفسه ، ويقدم نفسه لفداء البشرية التى ضلت سواء السبيل لكن كيف يمكن أن يكون المرء إنساناً وغير مخلوق فى وقت واحد ؟ وأين هو الشخص الإنسانى الذى لم يخلق كسائر الناس ليكون ملكا لنفسه وله سلطان أن يضع نفسه عن البشر أجمعين ؟ إننا لانجد فى التاريخ شخصاً تنطبق عليه هذه المميزات سوى شخص المسيح ، فهو مولود ولكنه غير مخلوق ، لأنه لم يأت بطريق التناسل الطبيعى ، وهو فى ذات

الوقت الله خالق كل الأشياء بكلمة قدرته !!

وقد يعترض معترض بالقول : إن مجئ الله في صورة إنسان يجعل من الله حادثاً ، والحادث مخلوق وليس خالقاً !! لكن هذا المعترض ينسى أن الله ظهر في صور شتى لأنبياء القدم ، ومع ذلك لم يعتبر ظهوره لهم حادثاً !! فقد ظهر الله لموسى في عليقة خر ٣ : ٤ وظهر لمنوح والد شمشون في صورة رجل ٢ قض ١٣ : ٢٢ وظهر كذلك لإبراهيم تك ١٨ ولم يقل أحد يومئذ أن الله صار حادثاً ، لأنه جلت قدرته قادر على كل شئ ، وفي استطاعته أن يتجسد في صورة بشر وأن يكون في ذات الوقت مالئا للكون كله ، وهذا ما قاله السيد له المجد في حديثه مع نيقوديموس « ليس أحد صعد إلى السماء إلا الذي نزل من السماء ابن الإنسان الذي هو في السماء » يو ٣ : ١٣ فبينما كان يتحدث مع نيقوديموس على أرض فلسطين قال له إنه أيضاً في السماء ، وليس في تجسد الله أي أهدار لكرامته ، بل على العكس أن تجسده يثير الحب في قلوب مخلوقاته ، سيما عندما يدركون أنه تجسد في سبيل فدائهم ، وإظهار حب قلبه لهم .

وعلى هذا فإن المسيح الكريم قد تميز بهذا المميز الجليل ، فقال عن نفسه « ليس أحد يأخذها مني بل أضعها أنا من ذاتي . لي سلطان أن أضعها ولي سلطان أن آخذها أيضاً » يو ١٠ : ١٨ ، أجل إنه له المجد ، قد قدم نفسه طوعاً واختياراً ، لأنه يملكها ،

وليس لأحد آخر سلطان عليه ليأخذها منه ، وكان الحب هو دافعه لتقديم نفسه لأجل البشر ، ولذا فقد هتف له بولس قائلاً «ابن الله الذى أحبنى وأسلم نفسه لأجلى » غلا ٢ : ٢٠ ، ووضعه مثالاً للمحبة المضحية أمام المؤمنين فى أفسس إذ قال لهم «اسلكوا فى المحبة كما أحبنا المسيح أيضاً وأسلم نفسه لأجلنا قرباناً وذبيحة لله رائحة طيبة » أف ٥ : ٢ وحض الرجال على محبة زوجاتهم فأعطاهم المسيح كمثال لهذا الحب قائلاً « أيها الرجال أحبوا نساءكم كما أحب المسيح أيضا الكنيسة وأسلم نفسه لأجلها » أف ٥ : ٢٥ ، وتحدث لأهل غلاطية عن غرض تضحية المسيح بالكلمات « يسوع المسيح الذى بذل نفسه لأجل خطايانا لينقذنا من العالم الحاضر الشرير » غلا ١ : ٣ ، ٤ . وسجل لتلميذه تيموثاوس هذه العبارات « لأنه يوجد إله واحد ووسيط واحد بين الله والناس الإنسان يسوع المسيح الذى بذل نفسه فدية لأجل الجميع » ١ تى ٢ : ٥ ، ٦ فأوضح بهذا أن المسيح قد قدم نفسه فدية لأجل خلاص الناس بدافع محبته لهم ، « ليس لأحد حب أعظم من هذا أن يضع أحد نفسه لأجل أحبائه » يو ١٥ : ١٣ .

٥ – المميز الخامس لشخص الفادى هو أن يكون عارفاً بمقدار الاساءة التى أحدثتها الخطية فى قلب الله : إن احساس الإنسان بثقل الخطية على ضميره يدفعه إلى التساؤل كيف ينال الغفران ؟ فيضم صوته إلى صوت النبى ميخا حين قال « بم

أتقدم إلى الرب وأنحني للإله العلي ؟ هل أتقدم بمحرقات بعجول أبناء سنة ، هل يسر الرب بألوف الكباش بربوات أنهار زيت ؟ هل أعطي بكري عن معصيتي ثمرة جسدي عن خطية نفسي؟، ميخا ٦ : ٦ ، ٧ وفي تساؤله هذا يشعر يقيناً أن خطاياه أثقل من أن تغفر بهذه الذبائح ، والتقدمات، فيقول مع داود وهو يحس بوطأة خطاياه ، لأنك لا تسر بذبيحة وإلا فكنت أقدمها . بمحرقة لا ترضى ، مز ٥١ : ١٦ .

وإذا كان هذا هو شعور الإنسان الساقط بإزاء الخطية ، فأي إساءة عظمى أحدثتها الخطية في قلب الله القدوس ؟

إن عدم إدراك الإنسان لمقدار الإساءة التي أحدثتها الخطية لله ، دفعه للاعتقاد بأن في مقدوره أن يخلص بأعماله !! لكن الخطية خاطئة جداً ، فهي إهانة بالغة في حق الله ، وعصيان سافر لوصاياه ، وتمرد عن تعمد وسبق إصرار لمشيئته العليا ، وعدم اكتراث بإحساسات قلبه !! ويقيناً أن الأعمال الصالحة لاتستطيع أن تزيل الاساءة التي أحدثتها الخطية في قلب الله حتى أننا نقرأ الكلمات ، فحزن الرب أنه عمل الإنسان وتأسف في قلبه ، تك ٦ : ٦ .

ومعرفة الله القدوس بحقيقة الخطية جعلته يحكم عليها حكماً صريحاً واضحاً ، النفس التي تخطئ هي تموت ، حز١٨ :٤

فالخطية عقابها الموت فى حكم عدالة الله

فأى شئ فى هذا الوجود يعادل الموت ؟ هى يمكن أن نعتبر بناء مستشفى أو التبرع لملجأ للأيتام ، أو الصوم أسبوعاً أو شهراً أو سنة أو دفع الزكاة ، أو الصلاة ، وسيلة لإلغاء حكم الموت الذى وضعه الله ضد الخطية ؟ .. يقيناً : لا ، لأن هذه الأعمال الصالحة لا تساوى « الموت » فى مقاييس العدالة الحقيقية !!

والواقع أن الأعمال الصالحة حينما تؤدى بقصد الخلاص من عقاب الخطية ، تعتبر إهانة كبرى لذات الله ، إذ أنها دليل على اعتقاد من يقوم بها بأن فى قدرته إزالة الاساءة التى أحدثتها الخطية فى قلب الله عن طريق عمل الصالحات ، وتأدية بعض الفرائض والصلوات ، وكأنه وهو يقوم بهذه الأعمال يعبر تعبيراً لا إرادياً عن شعوره بأنه غير مرضى عند الله ، وبأن الله غاضب عليه ، وبأن الوسيلة لنوال رضاه هى أن يقدم له شيئا من الحسنات حتى يمحو سيئاته . وخطاياه وكأن قلب الله لا يتحرك بالحنان ، إلا بأعمال الإنسان !! وياله من فكر شرير مهين !!

وينقض الكتاب المقدس بكلا عهديه مبدأ الخلاص بالأعمال الصالحة من أساسه فيقول أليهو أحد أصحاب أيوب « إن كنت باراً فماذا أعطيته أو ماذا يأخذ من يدك . لرجل مثلك شرك ولابن آدم برك » أيوب ٣٥ : ٧ . ٨ ويقول إشعياء النبى « قد صرنا كلنا

كنجس وكثوب عدة (أى ثوب قذر) كل أعمال برنا » إش٦٤:٦
ويقول بولس الرسول « الإنسان لا يتبرر بأعمال الناموس ... لأنه
بأعمال الناموس لا يتبرر جسد ما .. لأنه إن كان بالناموس بر
فالمسيح إذا مات بلا سبب » غلا ٢ : ١٦ ، ٢١ ويؤكد هذا الحق
فى رسالته إلى رومية قائلاً : « أما الذى يعمل فلا تحسب له
الأجرة على سبيل نعمة بل على سبيل دين وأما الذى لا يعمل
ولكن يؤمن بالذى يبرر الفاجر فإيمانه يحسب له برا » رو٤ : ٤ ،
٥ ، وهانحن نقرأ فى إنجيل لوقا عن ذلك الفريسى الذى اتكل
على أعمال بره ، وكان يصوم مرتين فى الأسبوع ويدفع عشور
كل ما يقتنيه . ويسلك سلوكاً أعلى من سلوك الأشرار فى زمانه،
ونجد أن الرب قد حكم عليه بالدينونة لأنه اتكل على أعماله
الصالحة ، وجعلها موضوعاً لفخَره فى حضرة الله ، وطريقاً
لنوال عفوه ورضاه . مع أن « أجرة الخطية هى موت » وجميع
أعمالنا الصالحة لا يمكن أن تعادل الموت أو تساويه .

وليس معنى ذلك أن الأعمال الصالحة لا قيمة لها فى
مكانها ، لكن معناه أنها تعتبر إهانة لله سبحانه وتعالى إذا
عملناها لنوال عفوه ورضاه ، لأن عفوه لا يمكن الحصول عليه
بها إذ إن حكمه الواضح أن « النفس التى تخطئ هى تموت » ولا
سبيل للنجاة من هذا الحكم إلا بالفداء الذى بيسوع المسيح لأنه
التدبيرالوحيد الذى به يكون الله « باراً ويبرر من هو من الإيمان
بيسوع » رو ٣ : ٢٦ ومع هذا فإن الأعمال الصالحة تعتبر تعبيراً

جميلاً عن إحساسنا بمحبة الله لنا ، إذا صدرت عن قلب يعرف فضله عليه ، ويقدر بحبه الغامر الذى ظهر على الصليب .

ولقد أدرك داود أن كل عمل صالح ينبغى أن يقدم لله على اعتبار أنه تعبير عن الإحساس بمحبته وجوده ، لأنه صاحب كل شئ فى الوجود « للرب الأرض وملؤها . المسكونة وكل الساكنين فيها » مز ٢٤ : ١ فهو صاحب المال ، والصحة ، والحياة ، ولذا فقد قال بعد أن قدم لإلهه مبلغاً ضخماً من المال لبناء هيكله «ولكن من أنا ومن هو شعبى حتى نستطيع أن ننتدب هكذا لأن منك الجميع ومن يدك أعطيناك ... أيها الرب إلهنا كل هذه الثروة التى هيأناها لنبنى بيتاً لاسم قدسك إنما هى من يدك ولك الكل » ١ أخبار ٢٩ : ١٤ ، ١٦ وعلى هذا فإننا نستطيع القول بأن الأعمال الصالحة هى تعبير عن شكرنا لله ، وإدراكنا لمحبته العظمى التى ظهرت فى الصليب كما يقول بولس الرسول : «لأنكم بالنعمة مخلصون بالإيمان وذلك ليس منكم هو عطية الله ليس من أعمال كيلا يفتخر أحد . لأننا نحن عمله مخلوقين فى المسيح يسوع لأعمال صالحة قد سبق الله فأعدها لكى نسلك فيها » أفسس ٢ : ٨ - ١٠ .

وإذاً ففى مقدورنا أن نقرر بأن أعمالنا ، وصلاحنا ، وذبائحنا ، وعطايانا ، كل هذه لا تستطيع أن تغطى الاساءة التى أحدثتها الخطية فى قلب الله ! فمن ذا الذى يستطيع أن يدرك

مدى هذه الإساءة حتى يقدر أن يوفى عقابها ؟ ، يجيبنا بولس الرسول قائلاً : « هكذا أيضا أمور الله لا يعرفها أحد إلا روح الله » ١ كو ٢ : ١١ ، أجل ! فحتى الملائكة وهم أقرب مخلوقات الله إليه لا يدركون حقيقة الإحساسات الموجودة فى قلب الله عز وجل ، وعلى هذا فلن نجد شخصاً يستطيع إدراك مقدار الاساءة التى أحدثتها الخطية فى قلب الله الرقيق القدوس إلا الله ذاته ، وقد قلنا إنه من المميزات الضرورية لشخص الفادى إدراكه مقدار الاساءة ليعوض عنها ، وإذاً فلابد أن يكون الفادى شخصاً يتجسد الله فيه ليقدر أن يعوض التعويض اللازم عن ما يحس به الله بإزاء شناعة الخطية ، وفى المسيح نرى الله متجسداً كما يقول بولس الرسول « عظيم هو سر التقوى الله ظهر فى الجسد » ١ تى ٣ : ١٦ .

وعلى هذا فقد جاء المسيح بإدراك كلى لتأثيرات الخطية على قلب الله جل وعلا ، ودفع الأجرة كاملة ، فكان هو حمل الله الذى وضع عليه إثم جميعنا ، والذى رفع خطية العالم ، وفى سبيل ذلك ، تحمل الحزن الشديد ، وترك معلقاً وحده على الصليب بين السماء والأرض تكتنفه قوات الظلام ، وحجب الآب وجهه عنه ، ليشرب كأس عقاب الخطية حتى الموت .

٦ - المميز السادس لشخص الفادى هو أن يكون ذا قدرة فائقة حتى يستطيع احتمال عقاب خطايا البشرية كلها : كان العقاب الذى حكم به الله على آدم أبى البشر يتركز فى: « اللعنة»

«ملعونة الأرض بسببك» ، والتعب «بالتعب تأكل منها كل أيام حياتك» ، والشوك «شوكاً وحسكاً تنبت لك» ، والعرق والجهاد «بعرق وجهك تأكل خبزاً» ، وأخيراً الموت «حتى تعود إلى الأرض التى أخذت منها لأنك تراب وإلى تراب تعود» تك ٣ : ١٧ – ١٩ . وكان لابد أن يكون الشخص الذى يقوم بعملية الفداء، قادراً على احتمال هذا العقاب ، لا لأجل خطية آدم وحده بل لأجل خطايا البشرية كلها .

فأين هو ذلك الشخص الذى يستطيع أن يحتمل عقاب خطية نفسه حتى يكون فى مقدوره أن يحتمل عقاب خطايا البشرية !!

لقد أحس داود بثقل خطاياه فصرخ قائلاً : «آثامى قد طمت فوق رأسى كحمل ثقيل أثقل مما احتمل» مز ٣٨ : ٤ ، وصرخ قايين وهو يشعر بعظم خطيته قائلاً «ذنبى أعظم من أن يحتمل» تك ٤ : ١٣ . إذا أين هو صاحب القدرة ليحتمل عقاب خطايا البشرية وأوزارها التى أنقضت ظهرها ؟ يقيناً أن هذا الشخص هو المسيح الكريم الذى قال عنه إشعياء «يتعالى ويرتقى ويتسامى جداً» والذى قال عنه كاتب الرسالة إلى العبرانيين أنه «حامل كل الأشياء بكلمة قدرته» ، ومع هذا كله فقد رضى طائعاً أن يحمل فى جسده عقاب خطايانا حتى وصفه إشعياء قائلاً «كان منظره كذا مفسداً أكثر من الرجل وصورته أكثر من بنى آدم... محتقر

ومخزول من الناس رجل أوجاع ومختبر الحزن وكمستر عنه وجوهنا محتقر فلم نعتد به . لكن أحزاننا حملها وأوجاعنا تحملها ونحن حسبناه مصاباً مضروباً من الله ومذلولاً وهو مجروح لأجل معاصينا مسحوق لأجل آثامنا تأديب سلامنا عليه وبحبره شفينا . كلنا كغنم ضللنا ملنا كل واحد إلى طريقه والرب وضع عليه إثم جميعنا ظلم أما هو فتذلل ولم يفتح فاه كشاة تساق إلى الذبح وكنعجة صامتة أمام جازيها فلم يفتح فاه ، إش ٥٢ : ١٣ ، ١٤ ، ٥٣ : ٣ – ٧ لقد احتمل رب المجد عقاب خطية آدم ، بل عقاب خطايا الأجيال المتعاقبة منذ آدم إلى اليوم الأخير ، ذلك لأن الله فى وجوده المطلق ، ومعرفته المطلقة وضع خطايا البشرية على المسيح بديل البشرية ، وبالها من خطايا قذرة ، سوداء ، كريهة شنيعة ، وضعت كلها فى حزمة واحدة على ذلك الحمل البرئ ، حتى أنه صار « خطية» لأجلنا ، وانصب على شخصه الكريم غضب الله العادل البار القدوس .

ومن يتتبع قصة الصليب يلاحظ أن المسيح قد احتمل حكم الخطية بكل محتوياته ، فاحتمل « اللعنة » لأنه مات على الصليب ومكتوب « ملعون كل من علق على خشبة » ، واحتمل «التعب والعرق » فنقرأ عنه وهو فى بستان جثسيمانى أنه « إذ كان فى جهاد كان يصلى بأشد لجاجة وصار عرقه كقطرات دم نازلة على الأرض » لو ٢٢ : ٤٤ ، واحتمل وخز الشوك فى جبينه الكريم إذ « ضفر العسكر إكليلاً من شوك ووضعوه على

رأسه ، يو ١٩ : ٢ ، ثم شرب كأس الموت بعد أن أتم خلاص الإنسان إذ ، قال قد أكمل ونكس رأسه وأسلم الروح ، يو ١٩ : ٣٠.. احتمل كل هذا فى جسده بقدرة فائقة ، لأنه كان الإنسان الكامل ، الذى جاء ليفدى الإنسان الساقط ويحمل عقاب خطايا البشر الآثمين.

٧ - المميز السابع لشخص الفادى هو أن يكون قادراً على خلق طبيعة جديدة فى البشر تجعلهم أهلاً للاقتراب من محضر الله القدوس : إن الفداء الحقيقى لا يتم إلا بخلق طبيعة جديدة فى الخاطئ، ليستطيع بها الاقتراب إلى الله ، لأنه عندئذ يكون فى توافق تام مع إلهه !! ومن ذا الذى يستطيع أن يعطى للإنسان الذى يكره الله طبيعة جديدة تحب الله ، وأن يكسو عريه الروحى ، وأن يعيده إلى حضرة خالقه وقد اكتسى برداء بر جديد ؟.

إن الله وحده هو القادر على خلقه الطبيعة الجديدة فى الإنسان، ولأن الله كان فى المسيح مصالحاً العالم لنفسه ، لذلك فالمسيح يقدر أن يغير طبيعة الإنسان وهذا ما قاله بولس الرسول ، إذاً إن كان أحد فى المسيح فهو خليقة جديدة الأشياء العتيقة قد مضت . هوذا الكل قد صار جديداً ، ٢ كو ٥ : ١٧ .

ويقيناً أن المسيح قد غير طبيعة كل خاطئ آمن به ، والتجأ إليه ، فغير حياة السامرية النجسة وجعل منها امرأة قديسة ، وغير

حياة زكا الطماع محب المال ، وجعله إنساناً جديداً يضحى بالمال فى سبيل حبه لله ، وغير حياة مريم المجدلية التى كان جسدها مسكنا للشياطين ، فجعلها رسولة الرسل ، وبشيرة البشيرين !! ومازال يسوع المسيح يغير بقوة دم الصليب حياة الكثيرين ، ويلبسهم رداء نقياً بهياً من نسيج بره الكامل ، وفدائه العظيم.

فهل رأينا الأسباب التى توضح لنا ضرورة أن يكون الفادى إنساناً وإلهاً فى وقت واحد ، إننا إذا وضعنا هذه الحقيقة فى أذهاننا سهل علينا جداً أن نفسر الكلمات السبع التى نطق بها السيد المسيح وهو على الصليب .

فهو بحق دمه المسفوك ، كرئيس الكهنة الأعظم يصلى لأجل صالبيه وقاتليه قائلاً « يا أبتاه اغفر لهم لأنهم لا يعلمون ماذا يفعلون » لو ٢٣ : ٣٤ ، فيرينا أن الذين سفكوا دمه نالوا الغفران بذات الدم .

وهو بحق هذا الدم أيضاً يلتفت إلى اللص الذى قال له «اذكرنى يارب متى جئت فى ملكوتك » لو ٢٣ : ٤٢ فيمنحه رجاء بساماً ويرد على إيمانه بلاهوته رداً يصادق على هذا الإيمان فيقول له « الحق أقول لك إنك اليوم تكون معى فى الفردوس » لو ٢٣ : ٤٣ وهو فى انسانيته الكاملة الرقيقة يهتم بشئون أمه القديسة المتألمة ويطلب من يوحنا أن يرعاها قائلاً لها

، يا امرأة هوذا ابنك ، ثم يقول ليوحنا ، هوذا أمك ، يو ١٩ : ٢٦ ، ٢٧ وهو بذات هذه الإنسانية التى مثل فيها البشرية، احتمل عقاب الله المنصب على الخطية. ولأنه صار خطية لأجلنا حجب الله وجهه عنه لأن عينيه أطهر من تنظرا الخطية ، وعندئذ صرخ المسيح الإنسان ، ممثل الإنسانية وهو فى عمق آلامه ، ليظهر للبشر فظاعة خطاياهم ، وموقف الله العادل من هذه الخطايا قائلاً ، إلهى إلهى لماذا تركتنى ، مت ٢٧ : ٤٦ ولا يفوتنا أن نذكر أنه قبل أن ينطق المسيح بهذه الكلمة التى أعلنت عظم آلامه ، وشدة سخط الله على الخطية حدث حادث خارق إذ أظلمت الشمس فى الظهيرة مت ٢٧ : ٤٥ وظلت فى ظلامها ثلاث ساعات كاملة ، وأثبت رجال الفلك أن هذا الظلام لم يكن كسوفاً حدث فى الشمس لأن الصلب وقع يوم جمعة فى زمان عيد فصح اليهود ، تلك حقيقة تاريخية ، وعليه فقد كان القمر بدراً كاملاً إذ ذاك طبقاً للنظام الدينى المقرر عند اليهود فى تعيين يوم العيد . إذ كانوا يحسبون السنين فى ذلك العهد بالشهور القمرية ويوجبون فى الوقت نفسه أن يكون الفصح فى تاريخ يتفق وبعض مواعيد السنة الشمسية فلا يكون بعيداً عن ميعاد الاعتدال الربيعى ليتمكنوا أيضا أن يقدموا بواكير الغلات لله طبقا لما هو مقرر فى التوراة . ولأجل ذلك كان من المقرر أن يكون الفصح عند اكتمال بدر نيسان القمرى وهو يتفق فى بعضه وشهر أبريل الشمسى ، وهم لشدة حرصهم على ذلك

تدقيقاً فى ما يوجبه الناموس كانوا يضيفون من حين إلى أخر شهراً إلى السنة القمرية يكون الثالث عشر فيها فيسمونه ، واذار ، بواو العطف ، أى اذار الثانى ، لأن شهر اذار القمرى كان يليه مباشرة شهر نيسان وهو شهر عيد الفصح ، فيصلحون بذلك الفرق بين السنة الشمسية والسنة القمرية (وهو ١١ يوما تقريباً) ويردون الفصح إلى التاريخ الذى يتفق والاعتدال الربيعى ويتمكنون فيه من تقديم البواكير .

وعلى ذلك يتضح جلياً أن القمر كان فى يوم الصلب بدراً كاملاً فيستحيل بموجب النواميس الطبيعية حدوث كسوف إذ ذاك لأن الكسوف لا يمكن حدوثه إلا فى فترة المحاق عند نهاية الشهرالقمرى إذ يكون القمر والحالة هذه ما بين الأرض والشمس فى الفلك فإذا كانت عند ذاك مراكز كرات هذه الأجرام الثلاثة على خط مستقيم واحد (فى حالة معينة من بعد القمر عن الأرض) حدث الكسوف التام الذى ترافقه الظلمة عند احتجاب قرص الشمس تماماً ، وعلى هذا فحدوث الظلام فى يوم الصلب لا يمكن أن يكون إلا من خوارق الطبيعة بقدرة إلهية ، لكى تتم نبوة عاموس القائلة ، ويكون فى ذلك اليوم يقول السيد الرب أنى أغيب الشمس فى الظهر وأقتم الأرض فى يوم نور ، عا ٧ : ٩ .

لماذا حدث هذا ؟ ليعلن الله غضبه على الخطية التى شوهت أجمل مخلوقاته وهو الإنسان ، والتى عذبت وصلبت ابنه الوحيد على الصليب !!

ونتقدم الآن من مشهد الصلب المؤلم لنسمع الكلمة الخامسة التى نطق بها يسوع المصلوب قائلاً « أنا عطشان » يو ١٩ :٢٨ وهذه الكلمة ترينا إنسانية يسوع الكاملة المتألمة ، لقد نزف دمه. وفى الدم كمية كبيرة من الماء ، ولذا فقد أحس بالعطش المحرق، وهو خالق الأنهار وقال « أنا عطشان »

ولكن هل كانت هذه الكلمة آخر كلماته ؟ كلا !! فقد نطق بكلمة سادسة ، قائلا « قد أكمل » وهكذا أعلن أن تدبير الفداء قد تم فى كمال لا يشوبه نقص ، فكل النبوات القديمة الخاصة بمسيا المنتظر قد أكملت ، وكل مطاليب الناموس قد أكملت ، وكل الآلام التى كان على المسيح أن يتحملها نتيجة خطايا البشر قد أكملت ، وكل رمز فى العهد القديم قد أكمل ، وكل ما كلفته به محبته للبشر قد أكمل ، وكل انتظارات الناس فيه قد أكملت ، وكل برنامج رسالته قد أكمل وكل حكم قد أصدرته عدالة الله قد أكمل . أجل !! لقد أكمل المسيح المصلوب كل شئ وليس على الخطاة إلا أن يقبلوا بإيمان وثقة بركات هذا العمل الكامل التام .

أخيرا اختتم المسيح المصلوب كلماته ، صارخاً بصوت عظيم « يا أبتاه فى يديك أستودع روحى » لو ٢٣ : ٤٦ وهكذا تمت كلمته القائلة « لى سلطان أن أضعها ولى سلطان أن آخذها أيضا » يو ١٠ :١٨ .

لقد تألم المسيح آلاما مبرحة على الصليب فى جسده

ونفسه، وطمت عليه كل التيارات واللجج ، ولكن يجب أن نفهم أن هذه الآلام لم تقع على اللاهوت بل على الناسوت أى على ما هو بشرى فى المسيح ، إذا أن اللاهوت لا يتأثر بما يؤثر فى جسد البشر وهو وحده الذى له عدم الموت ، ولذلك فنحن نقرر أن التجسد لم ينقص اللاهوت ولا جزأه ، ولا خلطة ، ولا أثر فيه بأى حال ، أو من أى وجه كما أن أشعة الشمس لاتتأثر بالمكان الذى تضيئه على الإطلاق !!

وقد أكد بطرس فى كتاباته أن يسوع المسيح حمل خطايانا فى جسده على الصليب فقال « فإذ قد تألم المسيح لأجلنا بالجسد تسلحوا أنتم أيضاً بهذه النية » ١ بط ٤ : ١ « فإن المسيح أيضاً تألم مرة واحدة من أجل الخطايا البار من أجل الأثمة لكى يقربنا إلى الله مماتاً فى الجسد ولكن محييا فى الروح » ١بط ٣ : ١٨ «الذى حمل هو نفسه خطايانا فى جسده على الخشبة »١ بط٢ : ٢٤ وهذا هو ما علم به بولس أيضا قائلاً « فالله إذ أرسل ابنه فى شبه جسد الخطية ولأجل الخطية دان الخطية فى الجسد » رو ٨ :٣.

ولكن هل معنى هذا أن الآب لم يشعر بآلام الابن ؟ لقد كانت آلام الابن كفارية لأجل الخطية ، ولكننا إذ نفكر فى مشاعر الآب الحنون ، نحس بأن القلم يتوقف فى خشوع ، فذاك الذى لما رأى شر الإنسان « حزن وتأسف فى قلبه » ، وذاك الذى قيل عنه فى سفر إشعياء « فى كل ضيقهم تضايق » إش ٦٣ : ٩

هل يمكن أنه لم يحس بآلام ابن مسرته وهو على الصليب ؟!

يقينا أن الثالوث الأقدس قد اشترك فى عملية الفداء ، فالأب أحب العالم حتى بذل الابن ، والابن قد رضى طائعاً أن يقوم بعمل الفداء ، والروح القدس قد اشترك فى تقديم ذبيحة الصليب وأعلن مجد هذا الفداء العجيب .

وكما نقرأ « لأنه هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكى لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية » يو ٣: ١٦ ، كذلك نقرأ « أحبنا المسيح أيضاً وأسلم نفسه لأجلنا قربانا وذبيحة لله رائحة طيبة » أفسس ٥ :٢ ونقرأ أيضاً « فكم بالحرى يكون دم المسيح الذى بروح أزلى قدم نفسه لله بلا عيب يطهر ضمائركم من أعمال ميتة لتخدموا الله الحى » عب ٩: ١٤ وهكذا نرى الثالوث الأقدس مشتركاً فى عمل الفداء العظيم .

فهل يمكن أن يرى الإنسان المفدى كل هذه الحقائق ، ولا يرفع صوته مرنماً ومردداً :

١ - خلنى قرب الصليب	حيث سال المجرى
من دم الفادى الحبيب	داء نفسى يبرا
فى الصليب فى الصليب	راحتى بل فخرى
فى حياتى وكذا	عند ذاك الفجر
٢ - قد محا عند الصليب	دم ربى إثمى
وعن القلب الكئيب	زال كل الهم

٣ – قد رأينـــا فى الصليـب   قــوة الرحـمــان
إذ بــدا أمــرعجيـــب   قـــدية للجـانـى

٤ – من قضى فوق الصليب   ذاك جـل القصـد
سـآراه عـــن قريـــب   آتيـــاً بالمجـــد

أجل . فإن المسيح الذى مات لأجلنا على الصليب سيأتى ثانيـة فى مـجـد وجـلال ، ويقـرر هذا الحق كـاتب الرسالة إلى العبرانيين قائلاً ، هكذا المسيح أيضا بعدما قدم مرة لكى يحمل خطايا كثيرين سيظهر ثانية بلا خطية للخلاص للذين ينتظرونه ، عب ٩ : ٢٨ يقينا أن المسيح آت وكأنى أسمع صوته يرددعبر الأجيال قائلاً ، أنا ابن الله ولكننى ظهرت فى جسد البشر لأتألم حتى الموت عن الخطايا . ولكنى فى الوقت نفسه متصل بالسماء التى منها جئت ، يحل فىَّ كل ملء اللاهوت وبذا أستطيع أن أغـفر الخطايا مت ٩ : ٦ ولكن بشريتى لا تنتهى باجـتيـازى الأدوار الأخيرة التى أشرت إليها من ألم وموت أقاسيهما فى سبيل خلاص الإنسان وتتميم عملى بل سأقوم وآخذها معى للسماء التى منها سأعـود لأملك على أولئك الذين أخـذت صـورتهم الإنسانية ،

هذا هو المسيح المصلوب ، الذى يملأ حياة كل إنسان يؤمن به بالرجاء اللامع البسام !!



الفصل الخامس

تحقيق شخصية المطلوب

يخطئ من يعتقد أو يظن أن موت المسيح مصلوباً ، كان مفاجأة للمسيح.. أو نتيجة لصراخ الغوغاء الذين طالبوا ، بيلاطس ، الوالى الرومانى أن يصلبه ..

ويخطئ من يسأل : إذا كان المسيح هو الله المتجسد فى صورة إنسان فعلاً وحقاً فلماذا لم ينزل عن الصليب ؟ ولماذا لم ينقذ نفسه من هذا العذاب الرهيب ليظهر قدرته ؟

ذلك لأن الصليب كما ذكرنا سابقاً كان من الأزل خطة الله لخلاص الإنسان ونجاته من نار جهنم ... وقد وضع الله تبارك اسمه هذه الخطة بحكمته قبل إنشاء العالم ، وقبل خلقه الإنسان ، وقبل سقوط الإنسان

، معلومة عند الرب منذ الأزل جميع أعماله ، (أعمال ١٥ : ١٨) .

لقد وُلد المسيح من عذراء ليصلب ... ليدفع أجرة خطايا

البشرية ... ولذلك لم ينزل عن الصليب .

وعن هذا قال بطرس الرسول :

« عالمين أنكم افتديتم لا بأشياء تفنى بفضة أو ذهب من سيرتكم الباطلة التى تقلدتموها من الأباء . بل بدم كريم كما من حمل بلا عيب ولا دنس دم المسيح . معروفاً سابقاً قبل تأسيس العالم ولكن قد أظهرفى الأزمنة الأخيرة من أجلكم » (١ بط ١ : ١٨ – ٢٠)

وقال أيضا لليهود الذين اجتمعوا حوله يوم الخمسين ، وهو يتحدث عن المسيح وحقيقة صلبه وموته وقيامته : « يسوع الناصرى .. هذا أخذتموه مسلماً بمشورة الله المحتومة وعلمه السابق وبأيدى أثمة صلبتموه وقتلتموه . الذى أقامه الله ناقضاً أوجاع الموت إذ لم يكن ممكناً أن يمسك منه » (اعمال ٢ : ٢٢– ٢٤)

فى موت المسيح على الصليب

– ظهر بر الله

– وظهرت حكمة الله وقوة الله

– وظهرت محبة الله

أو فى عبارة واحدة « ظهر كمال صفات الله » .

* في الصليب ظهر بر الله

وهذا ما قاله بولس الرسول بالوحي الإلهي : « وأما الآن فقد ظهر بر الله مشهوداً له من الناموس والأنبياء . بر الله بالإيمان بيسوع المسيح إلى كل وعلى كل الذين يؤمنون . لأنه لا فرق إذ الجميع أخطاوا وأعوزهم مجد الله . متبررين مجانا بنعمته بالفداء الذى بيسوع المسيح . الذى قدمه الله كفارة بالإيمان بدمه لإظهار بره .. لإظهار بره فى الزمان الحاضر ليكون باراً ويبرر من هو من الإيمان بيسوع » (رومية ٣ : ٢١ - ٢٦) .

فى كفارة المسيح التى أتمها بموته على الصليب ، أظهر الله بصورة لا تدع مجالاً للشك أنه « البار » و « المبرر » فى أن واحداً معا..

أظهر أنه « البار » لأنه نفّذ عقابه الإلهى الذى نطق به ضد خطية الإنسان ... يوم قال لآدم « لأنك يوم تأكل منها موتاً تموت» (تكوين ٢ : ١٧) وكان معنى هذا النطق الإلهيأن «أجرة الخطية هى موت » (رومية ٦ : ٢٣) .

هذا ما قاله بولس الرسول بالروح القدس :

« ولكننا نحن نكرز بالمسيح مصلوباً لليهود عثرة ولليونانيين جهالة . وأما للمدعوين يهوداً ويونانيين فبالمسيح قوة الله وحكمة الله » (١كو ١ : ٢٣ ، ٢٤) .

لقد ظهرت حكمة الله في التقاء عدله برحمته في صليب المسيح ، وبهذا أظهر الله كمال صفاته .. كما ظهرت حكمته تبارك اسمه في إظهار مدى فظاعة وبشاعة خطية الإنسان .. لقد ظهرت خطية الإنسان في سوادها الشديد حين طالب الناس الذين حضروا محاكمة المسيح أمام بيلاطس ، الحاكم الروماني بأن يصلب المسيح البار ، ويطلق سراح ، باراباس ، اللص .. القاتل... السفاح... الشرير.

أما قوة الله فقد ظهرت في المسيح إذ أقام المسيح من الأموات ... ولأن المسيح قام وارتفع إلى السماء وهو حي إلى أبد الآبدين ، لذلك صنع الرسل باسمه المعجزات ... ومازال اسمه يجري العجائب ، ويخلص من يؤمن به مخلصاً ورباً خلاصاً أبدياً من عذاب جهنم .

* في الصليب ظهرت محبة الله

في الخليقة رأى الإنسان قدرة الله .. وعظمة الله . «السموات تحدث بمجد الله . والفلك يخبر بعمل يديه» (مزمور ١٩ : ١)

لكن الإنسان احتاج أن يرى ويلمس محبة قلب الله . وفي الصليب أظهر الله حبه الفائق العقل للإنسان ...

« لأنه هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية » (يوحنا٣:١)

« ولكن الله بين محبته لنا لأنه ونحن بعد خطاة مات المسيح لأجلنا » (رومية ٥ :٨) .

« فى هذا هى المحبة ليس أننا نحن أحببنا الله بل ـ أنه هو أحبنا وأرسل ابنه كفارة لخطايانا »(١ يوحنا ٤ : ١٠) .

– لو كان المسيح مجرد إنسان لما كان موته إظهارا لمحبة الله...

– لو كان المسيح مخلوقا مثله مثل آدم خلقه الله من تراب فأين كنا نرى محبة الله ؟ !

– لو كان المسيح مجرد مخلوق... لكان صلبه مأساة إلهية بل مسرحية تثير السخرية .. لأن الله لم يبذل شيئا فى هذه المسرحية.

خلق آدم فأخطأ .

فخلق المسيح ليفديه .

هو الخالق للاثنين .. فهو لم يتكلف سوى أن خلق آدم .. وخلق المسيح .

لكن المسيح هو ابن الله ... هو الله ظاهراً فى الجسد . وكان موته إظهاراً للمحبة العظمى التى فى قلب الله .

والادعاء بأن الله غيّر شكل أحد القتلة ، أو شكل يهوذا إلى شبه المسيح ادعاء باطل .. ذلك أن هناك أدلة قانونية دامغة تؤكد تأكيدا قاطعا أن الذى صلب على الصليب كان هو « يسوع المسيح » .

الأدلة القانونية الدامغة
لتحقيق شخصية المصلوب

+ الدليل الأول : نبوات العهد القديم التى تتحدث عن صلبه ودفنه وقيامته :

- تنبأ داود النبى عن موت المسيح مصلوبا بالكلمات :

« لأنه قد أحاطت بى كلاب . جماعة من الأشرار اكتنفتنى. ثقبوا يدى ورجلى » (مزمور ٢٢ : ١٦) .

لقد مات داود الملك والنبى مكرماً على سريره فى قصره .. لكن هذه الكلمات التى نطق بها بالوحى الإلهى كانت نبوة صريحة عن موت المسيح مصلوباً ، وهو الموت الذى يثقبون فيه اليدين والرجلين .

- وتنبأ إشعياء النبى عن دفن المسيح فى قبر رجل غنى :

« وجعل مع الأشرار قبره ومع غنى عند موته » (إشعياء ٥٣ : ٩) .

بحسب القانون الرومانى كان ينبغى أن يُدفن المسيح فى مقابر المجرمين ، لكن يوسف الرجل الغنى ، والمشير العظيم وهو من الرامة .

« تقدم إلى بيلاطس وطلب جسد يسوع . فأمر بيلاطس

حينئذ أن يُعطى الجسد . فأخذ يوسف الجسد ولفه بكتان نقى . ووضعه فى قبره الجديد الذى كان قد نحته فى الصخر ثم دحرج حجراً كبيراً على باب القبر ومضى » (مت ٢٧ : ٥٨ – ٦٠) .

وهكذا تمت نبوة إشعياء النبى حرفياً وبدقة مذهلة .

– وتنبأ داود النبى عن قيامة المسيح فقال :

« لأنك لن تترك نفسى فى الهاوية . لن تدع تقيك يرى فساداً » (مزمور ١٦ : ١٠) .

وقد أكد بطرس الرسول فى خطابه الذى ألقاه يوم الخمسين أن هذه الكلمات نبوة عن قيامة المسيح ، إذ قال : « أيها الرجال الإخوة يسوغ أن يقال لكم جهاراً عن رئيس الآباء داود إنه مات ودفن وقبره عندنا حتى هذا اليوم . فإذ كان نبياً وعلم أن الله حلف له بقسم أنه من ثمرة صلبه يقيم المسيح حسب الجسد ليجلس على كرسيه . سبق فرأى وتكلم عن قيامة المسيح إنه لم تترك نفسه فى الهاوية ولا رأى جسده فساداً . فيسوع هذا أقامه الله ونحن جميعاً شهود لذلك (أعمال ٢ : ٢٩ – ٣٢) .

إن موت ودفن وقيامة المسيح كان إتماماً لنبوات سابقة .

+ الدليل الثانى : حديث المسيح إلى حوارييه عن موته وقيامته .

ذات يوم سأل المسيح تلاميذه : « أنتم من تقولون إنى أنا .

فأجاب سمعان بطرس وقال أنت هو المسيح ابن الله الحى » (مت ١٦ : ١٥ ، ١٦) .

وهنا بعد أن أعلن الله الآب لبطرس حقيقة المسيح ، وبعد أن عرف التلاميذ عن طريق هذا الاعلان أن المسيح هو بالحقيقة ابن الله الحى ، يتابع متى الرسول حديثه قائلاً :

« ومن ذلك الوقت ابتدأ يسوع يظهر لتلاميذه أنه ينبغى أن يذهب إلى أورشليم ويتألم كثيراً من الشيوخ ورؤساء الكهنة والكتبة ويقتل وفى اليوم الثالث يقوم » (مت ١٦ : ٢١) .

لم يكن موت الصليب مفاجأة للمسيح ، لقد كان إتماماً لخطة الله الأزلية لفداء الإنسان . وقد قال لتلاميذه ساعة عشائه الأخير معهم : « إن ابن الإنسان ماض كما هو مكتوب عنه . ولكن ويل لذلك الرجل الذى به يسلم ابن الإنسان . كان خيراً لذلك الرجل لو لم يولد » (مر ١٤ : ٢١) .

وحين طلب منه الكتبة والفريسيون أن يريهم آية :

« فأجاب وقال لهم جيل شرير وفاسق يطلب آية ولا تعطى له آية إلا آية يونان النبى . لأنه كما كان يونان فى بطن الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليال هكذا يكون ابن الإنسان فى قلب الأرض ثلاثة أيام وثلاث ليال » (مت ١٢ : ٣٩ ، ٤٠) (اقرأ أيضا مت ٢٠ : ٢٨) .

كان الاسم الذى طالما استخدمه يسوع المسيح هو « ابن الإنسان » .. فهو ممثل الإنسانية كلها .. رفيعها ووضيعها ، الأغنياء فيها والفقراء ، فجميعهم أخطأوا وأعوزهم مجد الله ، وهو قد جاء ليفديهم بموته على الصليب ، وكان يعرف منذ الأزل أن هذا هو عمله العظيم .

+ الدليل الثالث : الكلمات السبع التى نطق بها المسيح وهو على الصليب .

لو أن الله ألقى شبه المسيح على أحد القتلة ، أو على الحوارى يهوذا الاسخريوطى ، فهل يصدق عاقل أن ذلك القاتل ، أو أن يهوذا التلميذ الخائن يمكن أن ينطق بالكلمات السبع التى نطق بها المسيح وهو على الصليب .

لا يمكن لخيال مهما جمح أن يضع الكلمات السبع التى نطق بها المسيح المصلوب على شفتى أى شخص آخر سواه .

– كانت الكلمة الأولى التى نطق بها المسيح المصلوب «ياأبتاه اغفر لهم لأنهم لا يعلمون ماذا يفعلون» (لو ٢٣ : ٣٤) .

إن ذلك الذى علّم الغفران للمسيئين إليهم ، مارس هذا الغفران ، وصلى لأجل الذين صلبوه (مت ٥ : ٤٤) . ولا يصدق إنسان منحه الله ذرة من عقل أن ينطق بهذه الصلاة إنسان قاتل ألقى عليه شبه المسيح .

لم يعرف اليهود حقيقة الميسح فطالبوا الوالى الرومانى بصلبه ، لأن لو عرفوا لما صلبوا رب المجد ، (١ كو ٢ : ٨)

وطلب المسيح من الآب أن يغفر لهم ، فعلاقة المسيح بالآب هى علاقة الابن بأبيه ، لذلك خاطبه بالقول ، يا أبتاه ، .. وكانت كلمته الأولى هى ، كلمة الغفران ، .

– كانت الكلمة الثانية التى نطق بها المسيح المصلوب هى التى خاطب بها اللص المصلوب إلى جواره إذ قال له ، الحق أقول لك إنك اليوم تكون معى فى الفردوس ، (لو ٢٣ : ٤٣) .

اعترف اللص الذى صلب مع المسيح بلاهوت المسيح فقال ليسوع ، أذكرنى يا رب متى جئت فى ملكوتك ، (لو ٢٣ : ٤٢) وأجابه يسوع ، إنك اليوم تكون معى فى الفردوس ، (لو ٢٣ : ٤٣) .

فهل يصدق عاقل إن إنساناً قاتلاً ، أو أن يهوذا التلميذ الخائن ينطق بهذا الوعد الإلهى ؟

إن نطق يسوع المسيح بهذا الوعد الإلهى لذلك اللص الذى تاب فى آخر لحظات حياته واعترف بلاهوته وهو على الصليب إلى جواره تؤكد بيقين أن الذى صلب على الصليب كان يسوع الميسح ولا آخر سواه .. وكانت كلمته لذلك اللص هى كلمة الخلاص الأبدى ، .

- كانت الكلمة الثالثة التى نطق بها المسيح المصلوب هى التى وجهها إلى أمه « مريم وإلى تلميذه يوحنا . « وكانت واقفات عند صليب يسوع أمه وأخت أمه فلما رأى يسوع أمه والتلميذ الذى كان يحبه واقفاً قال لأمه يا امرأة هوذا ابنك . ثم قال للتلميذ هوذا أمك » (يو ١٩ : ٢٥ - ٢٧) .

لو كان المصلوب على الصليب شخصاً آخر غير يسوع المسيح ، فكيف ينادى « مريم قائلاً لها » يا امرأة هوذا ابنك » ؟ وكيف عرف يوحنا التلميذ الذى كان يسوع يحبه واستودعها له ؟

كيف يهتم شخص قاتل بمريم أم يسوع ويستودعها ليوحنا تلميذه الحبيب ؟

إن مجرد وجود « مريم » أم يسوع عند صليب ابنها ، فيه الدليل الدامغ على أن المصلوب كان هو بالحق واليقين يسوع المسيح ... ذلك لأن قلب الأم فيه شفافية حساسة ، سيما إذا كان قلب هذه الأم التى باركها الله واصطفاها فوق نساء العالمين .. ولو أن الذى صلب كان شخصاً آخر غير ابنها يسوع لتركت المشهد ومضت .. بل لأخبرت بقية تلاميذه أن المصلوب ليس هو ابنها يسوع .. وقوف « مريم » عند الصليب يؤكد أن الذى صلب كان هو يسوع المسيح .. وكانت كلمته الثالثة هى كلمة «الحنان» .

- كانت الكلمة الرابعة التى نطق بها المسيح المصلوب «إلهى

إلهى لماذا تركتنى ؟» (مت ٢٧ : ٤٦) .

كانت كلمة المسيح الرابعة صرخة وجهها إلى الله باعتباره «ابن الإنسان » الذى أخذ صورة الإنسان ليفدى الإنسان . هو الآن فى مركز العبد كما قال بولس الرسول : « المسيح يسوع ... الذى إذ كان فى صورة الله لم يحسب خلسة أن يكون معادلاً لله. لكنه أخلى نفسه آخذاً صورة عبد صائراً فى شبه الناس . وإذ وجد فى الهيئة كإنسان وضع نفسه وأطاع حتى الموت موت الصليب » (فيلبى ٢ : ٥ – ٨) .

وباعتباره الآن « العبد » الذى يحتمل عقاب الخطية عن الخطاة ينادى الآب « إلهى إلهى لماذا تركتنى ؟ » وكانت صرخته إلى الله إعلاناً منه بأنه الفادى الذى تنبأ عنه داود فى المزمور الثانى والعشرين ، ذلك المزمور الذى ذكر نبوات تمت حرفياً يوم صلبه .

فقد تنبأ داود فى هذا المزمور عن موت المسيح مصلوباً – كما ذكرنا فيما سبق – « ثقبوا يدى ورجلى » (مزمور ٢٢ : ١٦) وتنبأ عن اقتسام ثيابه وإلقاء قرعة على ردائه » « يقتسمون ثيابى بينهم وعلى لباسى يقترعون »(مزمور ٢٢ : ١٨) .

وذكر يوحنا الرسول إتمام هذه النبوة بدقة فى كلماته : « ثم إن العسكر لما كانوا قد صلبوا يسوع أخذوا ثيابه وجعلوها أربعة أقسام لكل عسكرى قسماً وأخذوا القميص أيضاً . وكان القميص

بغير خياطة منسوجاً كله من فوق . فقال بعضهم لبعض لا نشقه بل نقترع عليه لمن يكون . ليتم الكتاب القائل اقتسموا ثيابى بينهم وعلى لباسى ألقوا قرعة . هذا فعله العسكر » (يو ١٩ : ٢٣، ٢٤) .

لقد كان يسوع يعلم تماما سبب ترك الآب له .

« لأنه جعل الذى لم يعرف خطية خطية لأجلنا لنصير نحن بر الله فيه » (٢ كو ٥ : ٢١) .

كان يسوع المسيح يعرف أنه « الذبح العظيم » الذى جاء لفداء الإنسان ، وأن الله تركه ، لأن هذا الترك هو رمز الانفصال الأبدى الذى سيكون من نصيب كل الذين يرفضون فداءه .. فجهنم هى مكان الانفصال الأبدى عن الله .. وأراد المسيح أن يعلن بصرخته عن حقيقة شخصه ، وعن سبب صلبه وموته ، وأنه هو بذاته الذى تنبأ عنه داود النبى فى مزموره . لقد تركه الله لأنه صار « خطية لأجلنا » ..

ولا يقبل العقل بأن شخصاً قاتلاً ألقى الله عليه شبه المسيح ينطق بهذه الكلمات .كانت كلمته الرابعة هى الصرخة التى عبرت عن شدة العذاب الذى اجتازه .

– كانت الكلمة الخامسة التى نطق بها المسيح المصلوب « أنا عطشان» (يو ١٩ :٢٨) .

وقد نطق يسوع المسيح بهذه الكلمة إتماماً لنبوة داود النبى

«وفى عطشى يسقوننى خلاً » (مزمور ٦٩ : ٢١) . وقد سجل يوحنا الرسول إتمام هذه النبوة بكلماته « بعد هذا رأى يسوع أن كل شئ قد كمل فلكي يتم الكتاب قال أنا عطشان . وكان إناء موضوعاً مملواً خلاً . فملأوا إسفنجة من الخل ووضعوها على زوفا وقدموها إلى فمه . فلما أخذ يسوع الخل قال قد أكمل . ونكس رأسه وأسلم الروح » (يو ١٩ : ٢٨ – ٣٠) .

لم يكن قاتلاً ذاك الذى صلبه الرومان على الصليب ، كان المصلوب هو يسوع المسيح الذى تمت فيه نبوات الأنبياء وكانت كلمته الخامسة تعبيراً عن مدى آلامه . إذ سفك دمه وسال من جسده الكريم حتى عطش .

– كانت الكلمة السادسة التى نطق بها المسيح المصلوب « قد أكمل » (يو ١٩ : ٣٠) .

وهى الكلمة اليونانية « تلستى » ومعناها إكمال كل شئ ..

– إن كلمة « قد أكمل » تعلن أن المسيح يسوع « عيسى بن مريم » أكمل جميع نبوات الأنبياء فى شخصه .

– كذلك تعلن كلمة « قد أكمل » أنه قد أكمل بموته جميع ذبائح وقرابين العهد القديم .. فهو ذبيحة المحرقة (لاويين ١) وهو قربان الدقيق (لاويين ٢) . وهو ذبيحة السلامة (لاويين ٣) . وهو ذبيحة الخطية (لاويين ٤) . وهو ذبيحة الإثم (لاويين ٥) .. هو فى عبارة واحدة « حمل الله الذى يرفع خطية

العالم » (يو ١ : ٢٩) .

– كذلك تعلن كلمة « قد أكمل » أن عمل الفداء قد كمل ، وأن كل ما على الإنسان الأثيم هو أن يقبل بالإيمان ما عمله المسيح لأجله ليخلص ، فقد دفع المسيح أجرة خطاياه .

« لأنه بقربان واحد قد أكمل إلى الأبد المقدسين » (عبرانيين ١٠ : ١٤) .

والكلمة السادسة التى نطق بها المسيح المصلوب تؤكد بيقين لا يأتيه الشك من بين يديه ولا من خلفه أن الذى صلب على الصليب كان هو يسوع المسيح ، وكانت كلمته السادسة كلمة «الانتصار» .

– كانت الكلمة السابعة التى نطق بها المسيح المصلوب « يا أبتاه فى يديك أستودع روحى » (لو ٢٣ : ٤٦) .

احتمل المسيح ديئونة الله العادلة نيابة عن الخطاة ، وأكمل عمله الفدائى ، وبعد أن نطق بكلمته « قد أكمل » نسمعه يخاطب أباه كما بدأ بالقول « يا أبتاه » .

لم يعد هناك حجاب بينه وبين أبيه .. لقد أكمل عمله كعبد، وهو الآن يعلن علاقته الأزلية بأبيه .. ونطقه بهذه الكلمة « يا أبتاه » ينفى نفياً باتاً وقاطعاً أن الذى صلب على الصليب شخصاً آخر غيره .

+ الدليل الرابع الذى يؤكد أن الذى صلب على الصليب كان هو بالحق يسوع المسيح هو ظواهر الطبيعة التى حدثت وقت صلبه وانشقاق حجاب الهيكل .

لو أن الذى صُلب على الصليب كان قاتلاً ألقى الله عليه شبه المسيح ... فلماذا ثارت الطبيعة وأعلنت غضبها ؟

يسجل لوقا البشير ما حدث وقت صلب المسيح بالكلمات : «وكان نحو الساعة السادسة (أى ١٢ ظهراً بتوقيتنا) فكانت ظلمة على الأرض كلها إلى الساعة التاسعة وأظلمت الشمس وانشق حجاب الهيكل من وسطه » (لو٢٣ : ٤٤ ، ٤٥) .

ويسجل مرقس البشير نفس الحادث بالكلمات :

« وانشق حجاب الهيكل إلى اثنين من فوق إلى أسفل . ولما رأى قائد المئة الواقف مقابله أنه صرخ وأسلم الروح قال حقاً كان هذا الإنسان ابن الله » (مرقس ١٥ : ٣٨)

قائد المئة الرومانى روعته ظواهر الطبيعة ، واعترف بأن ذاك المصلوب كان ابن الله .

+ الدليل الخامس شهادة يوحنا الرسول الذى حضر مشهد الصلب .

شهد يوحنا الرسول الذى حضر مشهد الصلب من بدايته إلى

نهايتـه أن الذى صلب كان هو باليقين يسوع المسـيح إذ قال :
«فأتى العسكر وكسروا ساقى الأول والآخر المصلوب معه . وأما
يسوع فلما جاءوا إليه لم يكسروا ساقيه لأنهم رأوه قد مات . لكن
واحدا من العسكر طعن جنبه بحربة وللوقت خرج دم وماء .
والذى عاين شهد وشهادته حق وهو يعلم أنه يقول الحق لتؤمنوا
أنتم . لأن هذا كان ليتم الكتاب القائل عظم لا يكسر منه . وأيضاً
يقول كتاب آخر سينظرون إلى الذى طعنوه » (يو ١٩ : ٣٢ -
٣٧) .

+ الدليل السادس ظهورات المسيح بعد القيامة ، وعلى الأخص ظهوره للحوارى توما ولشاول الطرسوسى الذى صار فيما بعد بولس الرسول .

ويكفينا هنا أن نذكر ما قاله يوحنا الرسول ، وما قاله بولس
الرسول بغير تعليق .

قال يوحنا الرسول :

« ولما كانت عشية ذلك اليوم وهو أول الأسبوع وكانت
الأبواب مغلقة حيث كان التلاميذ مجتمعين لسبب الخوف من
اليهود جاء يسوع ووقف فى الوسط وقال لهم سلام لكم . ولما قال
هذا أراهم يديه وجنبه . ففرح التلاميذ إذ رأوا الرب . فقال لهم
يسوع أيضاً سلام لكم . كما أرسلنى الآب أرسلكم أنا . ولما قال

هذا نفخ وقال لهم اقبلوا الروح القدس . من غفرتم خطاياه تغفر له ومن أمسكتم خطاياه أمسكت .

أما توما أحد الاثنى عشر الذى يقال له التوأم فلم يكن معهم حين جاء يسوع . فقال له التلاميذ الآخرون قد رأينا الرب . فقال لهم إن لم أبصر فى يديه أثرالمسامير وأضع إصبعى فى أثر المسامير وأضع يدى فى جنبه لا أومن .

وبعد ثمانية أيام كان تلاميذه أيضاً داخلاً وتوما معهم . فجاء يسوع والأبواب مغلقة ووقف فى الوسط وقال سلام لكم . ثم قال لتوما هات اصبعك إلى هنا وأبصر يدى وهات يدك وضعها فى جنبى ولا تكن غير مؤمن بل مؤمناً . أجاب توما وقال له ربى وإلهى . قال له يسوع لأنك رأيتنى يا توما آمنت . طوبى للذين آمنوا ولم يروا » (يو ٢٠ : ١٩ – ٢٩) .

رأى التلاميذ يدى المسيح المصلوب وجنبه ، وتيقنوا أنه هو بذاته الذى صُلب على الصليب .. وقام من الأموات . إن المسيح الذى صلب قام حقاً ويقيناً من الأموات . والصليب بغير قيامة لا قيمة له لذلك « فرح التلاميذ إذ رأوا الرب » .

كذلك رأى توما أثر المسامير فى يدى المسيح ، وأثر الطعنة فى جنبه .. وهتف له قائلاً : ربى وإلهى » (يو ١٩ : ٢٨) .

وقبل المسيح اعترافه لأنه الله .

وذكر بولس الرسول ظهورات المسيح بعد قيامته بالكلمات :

« وأعرفكم أيها الاخوة بالإنجيل الذى بشرتكم به وقبلتموه وتقومون فيه . وبه أيضا تخلصون إن كنتم تذكرون أى كلام بشرتكم به إلا إذا كنتم قد آمنتم عبثا . فإننى سلمت إليكم فى الأول ما قبلته أنا أيضاً أن المسيح مات من أجل خطايانا حسب الكتب . وأنه دفن وأنه قام فى اليوم الثالث حسب الكتب ، وأنه ظهر لصفا ثم للاثنى عشر . وبعد ذلك ظهر دفعة واحدة لأكثر من خمسمئة أخ أكثرهم باق إلى الآن ولكن بعضهم قد رقدوا . وبعد ذلك ظهر ليعقوب ثم للرسل أجمعين . وآخر الكل كأنه للسقط ظهر لى أنا . لأنى أصغر الرسل أنا الذى لست أهلا لأن أدعى رسولا لأنى اضطهدت كنيسة الله » (١ كو ١٥ ١ – ٩).

نكرر القول بأن المسيح الذى صلب قد قام من الأموات وارتفع إلى السماء .

وظهور المسيح بعد قيامته وصعوده إلى السماء لشاول الطرسوسى الذى صار فيما بعد « بولس الرسول » كان هو سر التغيير العجيب الذى حدث له ... وسر انتقاله من معسكر المضطهدين لاتباع الميسح إلى معسكر المُضْطَهَدِين لأجل المسيح (١ تيموثاوس ١ :١٢ –١٦ ، ٢ كو ١١ :٢٣ – ٣٣ ، ٢كو ١٢: ١٠) .

+ الدليل السابع : حلول الروح القدس يوم الخمسين ورضا رسل المسيح بالاضطهاد والألم والعذاب والاستشهاد فى سبيله، ووجود الكنيسة المسيحية حتى اليوم .

قال المسيح قبل صلبه ، وقيامته ، وصعوده إلى السماء لتلاميذه : « لكنى أقول لكم الحق أنه خير لكم أن انطلق . لأنه إن لم أنطلق لايأتيكم المعزى . ولكن إن ذهبت أرسله إليكم .. إن لى أموراً كثيرة لأقول لكم ولكن لا تستطيعون أن تحتملوا الآن ، وأما متى جاء ذاك روح الحق فهو يرشدكم إلى جميع الحق لأنه لا يتكلم من نفسه بل كل ما يسمع يتكلم به ويخبركم بأمور آتية، ذاك يمجدنى لأنه يأخذ ممالى ويخبركم » (يو ١٤ : ١٦ ، ١٧).

وقال لهم أيضاً :

« وأنا أطلب من الآب فيعطيكم معزياً آخر ليمكث معكم إلى الأبد . روح الحق الذى لا يستطيع العالم أن يقبله لأنه لا يراه ولا يعرفه . وأما أنتم فتعرفونه لأنه ماكث معكم ويكون فيكم » (يو ١٤ : ١٦، ١٧) .

وأوصاهم قبل ارتفاعه إلى السماء :

« أن لا يبرحوا من أورشليم بل ينتظروا موعد الآب الذى سمعتموه منى . لأن يوحنا عمد بالماء وأما أنتم فستتعمدون

بالروح القدس ليس بعد هذه الأيام بكثير » (أعمال ١ : ٤ ، ٥)

وعد المسيح تلاميذه بأنه بعد ارتفاعه إلى السماء سيرسل لهم الروح القدس .. والروح القدس الذى وعد المسيح بإرساله ليس بشراً لأن المسيح له المجد قال عنه أنه « روح الحق » وان العالم «لا يراه » فهو شخص غير مرئى . وأنه سيمجد المسيح « ذاك يمجدنى » ، وسيذكر التلاميذ بكل ما قاله لهم .. وبهذه القدرة الإلهية تذكر الرسل أقوال المسيح وسجلوها فى بشائرهم .

وأخيراً قال المسيح لتلاميذه أن ينتظروا فى أورشليم حتى يحل عليهم الروح القدس ، وأن الروح سيحل عليهم بعد أيام قليلة..

وقد حل الروح القدس على التلاميذ بعد عشرة أيام من صعود المسيح إلى السماء وهم فى أورشليم .

بعد أن حل الروح القدس على رسل المسيح وتلاميذه تحول خوفهم إلى شجاعة ، وضعفهم إلى قوة ، وخرجوا فى شوارع أورشليم ينادون بالمسيح المصلوب المقام ، وامتدت رسالتهم إلى أقصى الأرض وانتشرت المسيحية بغير سيف وبغير حروب .

اضف إلى هذا كله أن رسل المسيح، والذين آمنوا به بواسطة رسالتهم احتملوا الاضطهاد، والألم، والعذاب، والاستشهاد لأجل المسيح.

وتعال معى لنقرأ ما حدث للرسل فى بداية تبشيرهم بالمسيح المصلوب .. وسجله سفر أعمال الرسل :

« فلما سمع الكاهن وقائد جند الهيكل ورؤساء الكهنة هذه الإقوال ارتابوا من جهتهم ما عسى أن يصير هذا . ثم جاء واحد وآخبرهم قائلاً هوذا الرجال الذين وضعتموهم فى السجن هم فى الهيكل واقفين يعلمون الشعب . حينئذ مضى قائد الجند مع الخدام فأحضرهم لا بعنف لأنهم كانوا يخافون الشعب لئلا يرجموا . فلما أحضروهم أوقفوهم فى المجمع . فسألهم رئيس الكهنة : أما أوصيناكم وصية أن لا تعلموا بهذا الاسم . وها أنتم قد ملأتم أورشليم بتعليمكم وتريدون أن تجلبوا علينا دم هذا الإنسان . فأجاب بطرس والرسل وقالوا ينبغى أن يطاع الله أكثر من الناس . إله آبائنا أقام يسوع الذى أنتم قتلتموه معلقين إياه على خشبة . هذا رفعه الله بيمينه رئيساً ومخلصاً ليعطى إسرائيل التوبة وغفران الخطايا . ونحن شهود له بهذه الأمور والروح القدس أيضاً الذى أعطاه الله للذين يطيعونه .

فلما سمعوا حنقوا وجعلوا يتشاورون أن يقتلوهعم . فقام فى المجمع رجل فريسى اسمه غمالائيل معلم للناموس مكرم عند جميع الشعب وأمر أن يخرج الرسل قليلاً . ثم قال لهم : أيها الرجال الإسرائيليون احترزوا لأنفسكم من جهة هؤلاء الناس فى ما أنتم مزمعون أن تفعلوا . لأنه قبل هذه الأيام قام ثوداس قائلاً

عن نفسه إنه شئ . الذى التصق به عدد من الرجال نحو أربعمئة . الذى قتل وجميع الذين انقادوا إليه تبددوا وصاروا لا شئ . بعد هذا قام يهوذا الجليلى فى أيام الاكتتاب وأزاغ وراءه شعباً غفيراً فذاك أيضا هلك، جميع الذين انقادوا إليه تشتتوا . والآن أقول لكم تنحوا عن هؤلاء الناس واتركوهم . لأنه إن كان هذا الرأى أو هذا العمل من الناس فسوف ينتقض . وإن كان من الله فلا تقدرون أن تنقضوه لئلا توجدوا محاربين لله أيضاً . فانقادوا إليه ودعوا الرسل وجلدوهم وأوصوهم أن لا يتكلموا باسم يسوع ثم أطلقوهم .

وأما هم فذهبوا فرحين من أمام المجمع لأنهم حسبوا مستأهلين أن يهانوا من أجل اسمه . وكانوا لا يزالون كل يوم فى الهيكل وفى البيوت معلمين ومبشرين بيسوع المسيح ، (أعمال ٥ : ٢٤ – ٤٢) .

مع هذا كله مات بطرس الرسول شهيداً مصلوباً ورأسه إلى أسفل على صليب .. كما قطع نيرون رأس بولس الرسول بالسيف...

وارتضى المسيحيون الأوائل أن يعيشوا فى سراديب روما حباً للمسيح الذى مات لأجلهم وقام .

واستمر وجود الكنيسة المسيحية رغم ما تعرضت له من اضطهادات حتى اليوم .

إن أى محام تُقدم له هذه الأدلة القانونية الدامغة ، ويفحصها بدقة وبغير تعصب أعمى لابد له أن يهتف من الأعماق :

« لقد صلبوا المسيح وقتلوه » .

إن المؤمن الأمين يرفض رفضاً قاطعاً أن يوصف الله القدوس بالخداع والغش .. ويقبل الحجج القانونية الدامغة التى تؤكد بما لا يدع مجالاً للشك أن الذى صلب على الصليب كان هو بذاته يسوع المسيح الذى ولد من مريم العذراء .

هذا هو حكم المنطق والعقل والقانون فى قضية صلب المسيح.


الفصل السادس
الصليب فى الحياة العملية

كان بولس الرسول يهودياً متعصباً ، يكره المسيح المصلوب، ويذيق أتباعه أشد أنواع العذاب ، إلى أن أشرق عليه نوره وسمع صوته يناديه من السماء ، شاول شاول لماذا تضطهدني؟، فلما سأله وهو مرتعد ومرتعب ، من أنت ياسيد ؟ ، أجابه صاحب الصوت المبارك ، أنا يسوع الناصرى الذى أنت تضطهده ، أع ٢٢ : ٨ . وتجدد شاول الطرسوسى الذى كان مجدفاً ومضطهداً ومفترياً ، وسمى بعدئذ باسم ، بولس ، ، وأحب بولس المسيح الذى خلصه أحبه من قلبه، وملك عليه هذا الحب كيانه ومشاعره وكل عاطفة تختلج فى داخله ، فصار داعيه الصليب الأول ، وكتب إلى كورنثوس مدينة العلم ، والرقى، والخطية يقول ، لأنى لم أعزم أن أعرف شيئا بينكم إلا يسوع المسيح وإياه مصلوباً ، ١ كو ٢ : ٢ وسجل بحروف ضخمة فى رسالته إلى أهل غلاطية كلماته الخالدة ،وأما من جهتى فحاشا لى أن افتخر إلا بصليب ربنا يسوع المسيح الذى به قد صلب العالم لى وأنا للعالم ، غلا ٦ : ١٤ .

فلماذا افتخر بولس بالصليب بعد أن كان عدوه اللدود ؟ لقد رأى بولس فى الصليب قـوة اللهّ وحكمـة الله ، قـوة الله التى انتصر بها على الشيطان ، والموت ، والخطية ، وحكمة الله التى وفقت بين عدله ورحمته ، ولذلك فقد جعل الصليب رسالته الوحيدة العظمى وكتب عن ذلك قائلاً « نـحن نكرز بالمسيح مصلوباً لليهود عثرة ولليونانيين جهالة . وأما للمدعوين يهوداً ويونانيين فبالمسيح قوة الله وحكمة الله » . لكنه مع ذلك رأى فى الصليب كل شئ فى حـياة المؤمن ، فـهـو أساس غـفـران خطاياه ، وأساس سلامه مع الله وأساس اعـتـزاله عن العالم ، وأساس احتماله للآلام ، أو كما قال فيه أحد القديسين « إن صليب المسيح هو أخف حمل أحمله على كتفى ، إنه كثقل الأجنحة للطائر ، يسمو بى إلى آفاق أعلى ، وكـثـقل الشراع للسـفـينة يدفـعنى إلى مـرفـأ الأمـان ، وكل هذه النواحى دفـعت بـولس للافتخاربالصليب.

ويجدر بنا أن نلفت النظر هنا ، إلى أننا عندما نتحدث عن الصليب ، لا نتحدث عن قطعة من الخشب أو من الذهب ، وإنما نتحدث عن ذلك الشخص المبارك الذى صلب على الصليب ، نحن لا نتحدث عن شئ بل عن شخص ، فالمسيح المصلوب هو سـر بركـة العـالم المسكين .. وللأسف أن كـثـيـرين من المسيحيين قد أهملوا قوة الصليب، تماماً كما أهمل العبرانيون السيف الذى قتل به داود جليات، وكل ما فعلوه أنهم وضعوه

وراء الأفود ، فدعونا نأخذ هذا السيف من جديد ونرى مدى تأثيره المبارك في الحياة العملية :

١ - الصليب هو أساس الغفران والتبرير :

فإذا سأل أحدهم كيف أنال الغفران ؟ وكيف أتبرر عند الله؟ أجابه بولس الرسول قائلاً « الذي لنا فيه الفداء بدمه غفران الخطايا » أفس ١ : ٧ « نحن متبررون الآن بدمه » رو ٥ : ٩ ، فدم يسوع المسيح المهراق على الصليب هو الوسيلة الوحيدة للغفران والتبرير لأنه « بدون سفك دم لا تحصل مغفرة » عب ٩ : ٢٢ ، والدم يعني «الموت والحياة » و « الموت » هو قصاص الخطية ، و « الحياة » تعطى لنا عن طريق الدم « لأن نفس الجسد هي في الدم » لا ١٧ : ١١ ، ومن العجيب أن الدم ولو سفك فإنه يعتبر حيا ، لذلك يقول الله لقايين بعد سفكه دم أخيه «صوت دم أخيك صارخ إليّ من الأرض » تك ٤ : ١٠ ونقرأ في رسالة العبرانيين « دم رش يتكلم أفضل من هابيل » عب ١٢ ، ٢٤ وهذا يرينا أنه مع أن الدم يمثل الموت فهو كذلك وسيلة الحياة الأسمى .

وهذا الفكر المزدوج يظهر واضحاً في الذبيحة اليهودية ، فكان اليهودي يأتي بالذبيحة إلى الدار الخارجية من خيمة الاجتماع ، وهو بنفسه - لا الكاهن - يذبحها وبعمله هذا كأن يعترف بإثمه الخاص وباستحقاقه القصاص موتاً ، هذا هو الوجه

الأول للذبيحة أما الوجه الثانى فنرى فيه الكاهن كنائب عن الله يأخذ دم الذبيحة ويرشه على المذبح معلنا أن الحياة قد قدمت إلى الله .

وقد تم هذا كله فى المسيح ، فدم المسيح المصلوب يعنى هذين الفكرين « موته » و « حياته » ففى يوم الكفارة كانت الذبيحة تنحر فى الدار الخارجية وهذا معناه « الموت » ثم كان رئيس الكهنة يأخذ الدم ويجتاز به إلى قدس الأقداس ويرشه على عرش الرحمة وهذا معناه « الحياة » ، وعلى هذا فينبغى أن لا ننظر فقط إلى موت المسيح بل إلى قيامته وصعوده كجزء جوهرى من عمل الفداء لأنه « أسلم من أجل خطايانا وأقيم لأجل تبريرنا » رو ٤ : ٢٥ فالدم الذى هو الموت ، والقيامة التى هى الحياة ، والصعود الذى هو الخلود كتلة واحدة فى عملية الكفارة.

ففى مت ٢٦ : ٢٨ يقول « هذا هو دمى الذى للعهد الجديد الذى يسفك لمغفرة الخطايا ، وهذا هو الدم والموت .

وفى عب ١٣ : ٢٠ يقول « وإله السلام الذى أقام من الأموات ربنا يسوع بدم العهد الأبدى ، وهذا هو الدم والقيامة .

وفى عب ٩ : ١٢ ، ٢٤ يقول « بدم نفسه دخل مرة واحدة إلى الأقداس فوجد فداءً أبدياً .. لأن المسيح لم يدخل إلى أقداس مصنوعة بيد أشباه الحقيقية بل إلى السماء عينها ليظهر الآن أمام وجه الله لأجلنا ، وهذا هو الدم والصعود .

وعلى هذا فنحن نرى فى دم يسوع المسيح ، الموت لأجلنا، والحياة لأجلنا كما هو ظاهر فى صلبه وقيامته وصعوده .

فدم يسوع هو أساس غفران خطايانا ، بل أساس فدائنا وتبريرنا ، لذلك إذ أشرق هذا الحق أمام عينى الأسقف لانسيلوت اندروز ركع عند الصليب قائلاً « بعرقك الدامى المتجمد ، ونفسك الحزينة المتألمة ، برأسك المكلل بالأشواك ، بعينيك المتدفقتين بالدموع ، وأذنيك؛ الممتلئتين بالسباب ، بفمك المبلل بالخل والمر ، ووجهك الملطخ بالبصاق ، برقبتك المنحنية من حمل الصليب وظهرك الممزق بالجلدات ، بيديك المثقوبتين وقدميك . بصرختك الحادة إلهى إلهى ، وقلبك المطعون بالحربة، بالدم والماء الجاريين من جنبك ، بجسمك المكسور ودمك المسفوك ، اغفر سيدى آثام عبدك واستر جميع خطاياه » .

حدثنا خادم جليل – من خدام الله كان قد عهد إليه أن يهتم بالأمور الروحية لمجرمى الحرب الأخيرة من زعماء النازى– عن قوة دم المسيح للغفران حتى لأفظع المجرمين قال: « فى سنة ١٩٤٥ عبرنا المانش إلى فرنسا وفى ١٥ يوليومن تلك السنة كنا فى ألمانيا ، وبعد شهور قليلة عهد إلىّ برعاية الحالة الروحية لزعماء النازى المسجونين رهن المحاكمة فى نورنبرج . وقبل أن أبدأ زياراتى لهؤلاء المجرمين فى زنزاناتهم سألت نفسى هذا السؤال : « أينبغى علىّ أن أسلم على هؤلاء الرجال الذين

جروا الدمار والخراب على العالم ، وجلبوا الويلات والآلام على الناس، وأزهقوا ملايين النفوس ؟ أينبغى أن أسلم عليهم وولداى قد ذهبا ضحية أفعالهم الشريرة ؟ وماذا أنا فاعل إزاءهم حتى يمكنهم أن يشعروا بحاجتهم إلى قبول كلمة الله ؟ وأول ما فعلت دخلت ، زنزانة ، المارشال ، جورنج ، فوقف وأدى التحية العسكرية ومدلى يده ، وبعدئذ زرتهم واحدا بعد الآخر زيارة قصيرة وكان ذلك فى العشرين من نوفمبر قبيل المحاكمة ، وقضيت تلك الليلة فى الصلاة طالباً من الله أن يعطينى رسالة لهم . ومن تلك اللحظة أعطانى الله نعمة اقتفاء آثار خطوات الرب يسوع فى أن أكره الخطية لكن أحب الخطاة . ورأيت أن هؤلاء الرجال يجب أن يسمعوا أشياء عن المخلص الذى تألم ومات على الصليب لأجلهم .

كانوا واحداً وعشرين مسجوناً ، أربعة منهم كاثوليك وثلاثة عشر بروتستانت ، أما ستريشر ، ويودل ، وهيس ، وروزنبرج فلم يهتموا بسماع أية خدمة .

أما الكاثوليك فكانوا فرانك ، وسايس انكوارت ، وكالتنبرونر، وفون بابن ، والبروتستانت ، كانوا : كيتل ، وفون ريبنتروب ، ورايدر ، ودونيتز ، وفون نوارت ، وسبير ، وشاخت ، وفريك ، وفونك وفريتش ، وفون شيراش ، وسوكل ، وجورنج ، وجرت عادتنا أن نرنم ثلاث ترنيمات ونقرأ فصولاً من الكلمة ، ثم ألقى

رسالة قصيرة ، ونختم بالصلاة ، وكان سوكل أول واحد بينهم فتح قلبه لقبول كلمة الله ، وقد كان أبا لعشرة أطفال ، وكانت زوجته مسيحية مؤمنة ، وبعد زيارات قليلة له كنا نركع سوياً عند سريره ، وكان يصلى صلاة العشار قائلاً : اللهم ارحمنى أنا الخاطئ ، وأنا أعرف أنه كان صادقاً ! كذلك عمل الله بقوة فى فريتش ، وفون شيراش وسبير لأنهم فى تأثر عميق طلبوا الاشتراك في مائدة الرب ، ورايدر كان غيوراً ومجتهداً فى قراءة الكلمة وكثيراً ما كان يلقانى متسائلاً عن معانى عبارات عسرة الفهم كما طلب الاشتراك فى المائدة معنا .

ثم صدر حكم المحكمة وهو يقضى بالإعدام شنقا على كل من جورنج ، وفون ربنتروب ، وكيتل ، وكالتنبرونر ، وروزنبرج، وفرانك ، وستريشر ، سوكل ، ويودل ، وسايس انكوارت ، وبالسجن مدى الحياة على هيس ، وفونك ، ورايدر وبالسجن عشرين عاماً على فون شيراش ، وسبير ، وبالسجن خمسة عشر عاماً على فون نويرات ، وعشر سنوات على دونيتز وبراءة كل من شاخت ، وفون بابن ، وفريتش .

وبعد الحكم حتى يوم التنفيذ كنت ملازماً للمحكوم عليهم أغلب الوقت ، وقد سمح للمحكوم عليهم أن يروا زوجاتهم مرة واحدة فقط ، وكان اللقاء محزنا للغاية ، ولقد سمعت فون ربنتروب يطلب إلى زوجته أن تعاهده على تربية أطفالها فى

خوف الرب ! وسوكل طلب من زوجته أن تتعهد بتربية أولاده في ظل الصليب أما جورنج ، فسأل زوجته عما قالته ابنته الصغيرة ، إيدا ، عندما سمعت منطوق الحكم عليه ، فقالت له زوجته إن ، إيدا ، قالت ، أرجو أن أرى أبى فى السماء ، فتأثر من هذه العبارة تأثراً شديداً ولأول مرة رأيته يبكى .

وليلاً ونهاراً كنت أقضى الوقت مع أولئك الذين سلموا حياتهم لله ، وكنت أزور بعضهم خمس مرات يومياً . وكان كيتل يتأثر جداً من العبارات التى تتكلم عن قوة دم المسيح للغفران ، وكان يردد الآية القائلة ، دم المسيح ابنه يطهرنا من كل خطية ، ١ يو ١ :٧ .

وفى ليلة تنفيذ الحكم تقابلت مع جورنج ومكثت معه وقتاً طويلاً ، وكلمته كثيراً عن لزوم استعداده لملاقاة الله ، فكان يهزأ ببعض حقائق الإنجيل ورفض أن يصدق أن المسيح مات لأجل الخطاة وكان يقول ، الموت هو الموت ، ، فذكرته بما قالته ابنته الصغيرة وبرجائها فى أن ترى أباها فى السماء فقال ، هى تؤمن على طريقتها وأنا على طريقتى ، فتركته .. وبعد ساعة تقريباً سمعت لغطاً وأصواتاً كثيرة وعرفت أن جورنج انتحر ، فدخلت زانزانته وكان نبضه لا يزال مستمرا فسألته ولكنه لم يجب وكانت على صدره أنبوبة زجاجية فارغة ، لقد ذهب إلى نهايته المخيفة .. واقتربت ساعة التنفيذ ، وقبل أن يتقدم ، فون

ريتتروب » للمقصلة قال إنه يضع كل ثقته فى دم المسيح الذى يرفع خطية العالم ! ثم صدر إليه الأمر أن يتقدم إلى غرفة الإعدام فتقدم ويداه مربوطتان وصعد إلى المقصلة ورفعت أنا قلبى بصلاة قصيرة ولم أره بعذ ذلك .

وتبعه « كيتل » وكان واثقاً فى قوة الدم للغفران ، وتقدم «سوكل» بعد أن ودع زوجته وأولاده وصلى صلاة قصيرة .

أما روزنبرج فقد رفض أية مساعدة روحية ، ولما سألته هل أصلى من أجله ؟ قال « كلا أشكرك » لقد عاش ومات بلا مخلص .

وهكذا انطلق من آمن فى قوة الدم الغافرة فى ملء الاطمئنان !!

٢ - الصليب هو أساس السلام مع الله :

سألت سيدة أحد الشبان : هل صنعت سلامك مع الله ؟ فأجاب كلا يا سيدتى ! قالت : وهل تريد أن تصنع سلامك مع الله ؟ فأجاب : كلا يا سيدتى !! ولما رأى دهشتها التفت إليها قائلا : ليس فى مقدور أحد أن يصنع سلامه مع الله ، لكن الرب يسوع قد صنع سلامى مع الله بالصليب ، ولذلك فأنا أقول مع بولس فإذا قد تبررنا بالإيمان لنا سلام مع الله بربنا يسوع المسيح» رو ٥ : ١ أجل ، إن جراحات الصليب هى أساس سلامنا

مع الله ، وهذا الحق واضح فى إنجيل يوحنا إذ نقرأ ، ولما كانت عشية ذلك اليوم وهو أول الأسبوع وكانت الأبواب مغلقة حيث كان التلاميذ مجتمعين لسبب الخوف من اليهود جاء يسوع ووقف فى الوسط وقال لهم سلام لكم ، ولما قال هذا أراهم يديه وجنبه ، ففرح التلاميذ إذ رأوا الرب ، يو ٢٠ : ١٩ ، ٢٠ فضمان سلامنا مع الله هو جراحات فادينا ، لأنه هو سلامنا ، .

٣ - الصليب هو دافع التكريس لله :

إذ أراد بولس أن يحرك الكورنثيين لتسليم حياتهم بالكامل للرب ، لم يجد دافعاً أقوى من الصليب فكتب لهم قائلاً ، أم لستم تعلمون أن جسدكم هو هيكل للروح القدس الذى فيكم الذى لكم من الله وأنكم لستم لأنفسكم لأنكم قد أشتريتم بثمن . فمجدوا الله فى أجسادكم فى أرواحكم التى هى لله ، ١ كو ٦ : ١٩ ، ٢٩.

ثم عاد يكتب لهم فى رسالته الثانية فقال ، لأن محبة المسيح تحصرنا . إذ نحن نحسب هذا أنه إن كان واحد قد مات لأجل الجميع فالجميع إذا ماتوا وهو مات لأجل الجميع كى يعيش الأحياء فيما بعد لا لأنفسهم بل للذى مات لأجلهم وقام ، ٢ كو ٥ :١٤، ١٥ فالصليب يدفع المؤمن للحياة لمن مات لأجله وقام لأنه يشعر أن محبة المسيح تحصره فلا يستطيع إلا أن يكرس نفسه له ليرد صدى هذه المحبة الغامرة ... ونجد فى سفر

اللاويين صورة واضحة للتكريس بالدم إذ نقرأ ، ثم قدم الكبش الثانى ... فذبحه وأخذ موسى من دمه وجعل على شحمة أذن هرون اليمنى ، وعلى إبهام يده اليمنى وعلى إبهام رجله اليمنى، لا ٨ : ٢٣ فما معنى وضع الدم على الأذن واليد والقدم؟! معناه أن الأذن تسمع وتعرف صوت الله ، وأن اليد تعمل لخدمة الله ، وأن القدم تسير مع الله ، وهكذا يصبح الإنسان كله مكرساً لله !! وهذا هو ما يفعله دم الصليب المرشوش على المؤمنين .

٤ - الصليب هو دافع الغفران للآخرين :

لم يجد بولس دافعاً يدفع المسيح أن يغفر للآخرين أقوى من الصليب فكتب لأهل أفسس قائلاً ، كونوا لطفاء بعضكم نحو بعض شفوقين متسامحين كما سامحكم الله أيضاً فى المسيح ، أفسس ٤ : ٣٢ ، وكذلك قال للمؤمنين فى كولوسي ، كما غفر لكم المسيح هكذا أنتم أيضا ، كو ٣ : ١٣ .

قص علينا رجل من رجال الله قصة فتاة أرمينية عاشت فى أيام اضطهاد الأرمن كانت سائرة يوماً فى رفقة أخيها وأبيها وإذا بجندى متوحش ينقض على والدها وأخيها ويذبحهما أمام عينيها ، أما هى فقد أفلتت منه بأعجوبة ثم اشتغلت كممرضة فى إحدى المستشفيات ، وذات يوم حمل رجال الإسعاف جريحاً إلى ذلك المستشفى ليكون تحت رعاية تلك الممرضة ، وسرعان

ما تفرست فى وجهه حتى عرفته أنه هو ذلك الجندى المتوحش الذى سفك دم أبيها وأخيها ، وهنا وقفت تلك الممرضة المسكينة أمام عاملين ، عامل الانتقام لدم أبيها وأخيها من ذلك الجندى الجريح الذى صار الآن فى قبضة يدها ، وعامل الرحمة والاشفاق والمغفرة لأجل خاطر المسيح الذى أحبها وافتداها ، وما هى إلا لحظة حتى غلب الصليب ، وملأ قلبها بالصفح ، فخدمت ذلك الجندى وسهرت على راحته حتى شفى من جراحه !! فهل امتلأنا بروح الصليب ، روح الغفران ؟

٥ - الصليب هو سر احتمال الحزن والألم والاضطهاد :

كتب الرسول للعبرانيين قائلاً « لذلك نحن أيضاً إذ لنا سحابة من الشهود مقدار هذه محيطة بنا لنطرح كل ثقل والخطية المحيطة بنا بسهولة ولنحاضر بالصبر فى الجهاد الموضوع أمامنا ناظرين إلى رئيس الإيمان ومكمله يسوع الذى من أجل السرور الموضوع أمامه احتمل الصليب مستهينا بالخزى فجلس فى يمين عرش الله فتفكروا فى الذى احتمل من الخطاة مقاومة لنفسه مثل هذه لئلا تكلوا وتخوروا فى نفوسكم » عب ١٢ : ١ - ٣ .

وكتب بطرس الرسول يقول « لأنه أى مجد هو إن كنتم تلطمون مخطئين فتصبرون . بل إن كنتم تتألمون عاملين الخير فتصبرون فهذا فضل عن الله . لأنكم لهذا دعيتم فإن المسيح

أيضا تألم لأجلنا تاركاً لنا مثالاً لكى تتبعوا خطواته » ١ بط ٢ : ٢٠ ، ٢١ .

أجل ، فالصليب يعطينا نصرة على الاضطهاد ، وعلى الألم ، وعلى الحزن .

كان أحد خدام الله يعظ فى شيكاغو ، وفجأة تقدم أحدهم من الصفوف الخلفية حتى اقترب من الخادم وقال له أمام الجمع « فى استطاعتك أن تقول عن المسيح أنه عزيز لديك ، وإنه يسدى إليك العون فى تجاربك ، لكن لو كانت لك زوجة توفيت كزوجتى وتركت لك أطفالاً صغاراً . يبكون وينادون على أمهم أن تأتى إليهم وليس من يحير جوابا !! لو كان هذا حالك ما كنت تستطيع أن تتكلم بما تكلمت به اليوم » .

وبعد مدة وجيزة راحت زوجة هذا الخادم الجليل ضحية حادث من حوادث القطارات ، وكانت موهوبة وفاضلة وحكيمة ، فأتوا بالجثة إلى شيكاغو للصلاة عليها ، فوقف الخادم المجرب بعد الخدمة وألقى بنظرة إلى الزوجة الراحلة ، وقال : « منذ مدة قال لى أحدكم أنى لا أستطيع أن أقول أن فى المسيح كفايتى ، لو توفيت زوجتى وتركت لى أولاداً يصيحون فى طلبها ، فإذا كان هذا الشخص موجوداً الآن فى هذا المكان فإنى أقول له أن المسيح كاف جداً وأن صليبه سر عزائى ، صحيح ان قلبى مكسور وممزق ولكن هناك سلاماً تردد أصداؤه فى قلبى ،

والمسيح هو مصدر هذا السلام ، لأنه يتكلم بالتعزية إلىّ اليوم ».

ولقد كان ذلك الرجل موجوداً في الاجتماع ، فتقدم وركع بجانب التابوت ، صلى قائلاً « إنني أسلم لك نفسي أيها الرب يسوع ، ما دمت تستطيع أن تعزي الإنسان بهذا العزاء الجميل» !!

٦ - الصليب هو سر الموت المزدوج :

والموت المزدوج هو موت العالم في نظر المؤمن ، وموت المؤمن في نظر العالم ، وهذا ما يقوله الرسول « الذي به قد صلب العالم لي وأنا للعالم » ، فالمؤمن ينظر إلى العالم فيراه مصلوباً أمامه ، ولا يجد فيه إغراء أو جاذبية لأن كل ما في العالم شهوة الجسد وشهوة العيون وتعظم المعيشة وهذه كلها قد صلبت في الصليب ، ونرى مثالاً لهذا في احتقار موسى للعالم كما يقول كاتب العبرانيين « بالإيمان موسى لما كبر أبى أن يدعى ابن ابنة فرعون مفضلاً بالأحرى أن يذل مع شعب الله على أن يكون له تمتع وقتي بالخطية حاسباً عار المسيح غنى أعظم من خزائن مصر لأنه كان ينظر إلى المجازاة » عب ١١ : ٢٤ - ٢٦ فموسى حسب عار المسيح الذي هو الصليب غنى أعظم من خزائن مصر ، وكان الصليب هو سر انتصاره على العالم ، ولذا فالرسول يحضنا على السير في ذات الطريق قائلاً «لذلك يسوع أيضاً لكي يقدس الشعب بدم نفسه تألم خارج الباب فلنخرج إذا إليه خارج المحلة حاملين عاره . لأن ليس لنا هنا

مدينة باقية لكننا نطلب العتيدة » عب ١٣ : ١٢ - ١٤ . فهل صلبنا الجسد مع الأهواء والشهوات وخرجنا وراء ربنا خارج المحلة ؟

يحدثنا الرسول عن اختباره قائلاً « مع المسيح صلبت فأحيا لا أنا بل المسيح يحيا فىّ » غلا ٢ : ٢٠ ، أجل ! جاء يوم ذهب فيه بولس إلى الجلجثة ، وتمدد على صليب المسيح ، وقال يناجى رب الصليب « ياسيد سمر يدى اللتين قبضتا على المسيحيين وعذبتاهم ، وسمر قدمى اللتين سارتا فى طريق تحطيم عملك ، وكلل رأسى الذى فكر بالأفكار الرديئة بإكليل الشوك ، واطعن قلبى الخداع النجس بحربة الموت ، لكى أموت أنا وتحيا أنت يا سيدى فىّ » . ومن ذلك اليوم مات بولس ليحيا المسيح فيه ، و « الذين هم للمسيح قد صلبوا الجسد مع الأهواء والشهوات » غلا ٥ :٢٤ .

٧ - الصليب هو أساس شركتنا مع الله :

هذا هو الحق اللامع فى رسالة العبرانيين إذ يقول الرسول «فإذ لنا رئيس كهنة عظيم قد اجتاز السموات يسوع ابن الله فلنتمسك بالإقرار . لأن ليس لنا رئيس كهنة غير قادر أن يرثى لضعفاتنا بل مجرب فى كل شئ مثلنا بلا خطية . فلنتقدم بثقة إلى عرش النعمة لكى ننال رحمة ونجد نعمة عوناً فى حينه » عب ٤ : ١٤ - ١٦ ثم يعود قائلاً « فإذ لنا أيها الإخوة ثقة

بالدخول إلى الأقداس بدم يسوع . طريقاً كرسه لنا حديثاً حياً بالحجاب أى جسده وكاهن عظيم على بيت الله . لنتقدم بقلب صادق فى يقين الإيمان مرشوشة قلوبنا من ضمير شرير ومغتسلة أجسادنا بماء نقى . لنتمسك بإقرار الرجاء راسخاً لأن الذى وعد هو أمين» وهكذا نرى أن أساس شركتنا مع اللهً ، وثقتنا فى الدخول إلى عرش النعمة ، وإيماننا الراسخ فى استجابة صلواتنا هو « دم الصليب » . كما هو مكتوب « الذى لم يشفق على ابنه بل بذله لأجلنا أجمعين كيف لا يهبنا أيضاً معه كل شئ » رو ٨ : ٣٢ .

والآن !! ما هو موقفك بإزاء المسيح المصلوب ؟ لقد سأل بيلاطس اليهود قائلاً : « ماذا أفعل بيسوع الذى يدعى المسيح؟» مت ٢٧ : ٣٢ ، وهذا سؤال شخصى يجب أن توجهه لنفسك بعدما عرفت حقيقة شخصية المصلوب ، وأن تقرر نهائياً إجابتك على هذا السؤال الخطير ؟!

فما هو قرارك ؟! هل قررت أن تهمل التفكير فى شخص المسيح ؟ أو عزمت على أن تفضل عليه شرك وخطاياك ؟ أو قررت أن تقبله فى حياتك ، وتخصص عمله الفدائى لنفسك ؟

يحدثنا دكتور « ايرنسيد » عن جندى من جنود الحرب الأهلية الأمريكية ، ساءت أحواله حتى صار يعيش فى فقر مدقع. لكن السلطات الأمريكية فكرت فى أن ترسله إلى مزرعة

تعول فيها الفقراء ، ولما جاء مندوب الحكومة يحمل هذا الخبر للجندى البائس الفقير ، رأى على حائط كوخه المهدم «إطارا» !! ولم يكن فى هذا الإطار صورة ، وإنما كان فيه ورقة تشبه «الشيكات» . وتقدم مندوب الحكومة وانتزع الإطار من على الحائط واخرج الورقة ، وإد به يجدها « شيكاً » على الحكومة بإمضاء الرئيس لنكولن ليصرفه ذلك الجندى كمكافأة له على خدمته !! ولما سأل المندوب ذلك الجندى العجوز لماذا احتفظ بهذا الشيك ؟ قال : احتفظت به لأنه يحمل امضاء ابراهام لنكولن !!! وهنا هتف به المندوب قائلاً : أيها الرجل هذه الورقة تحمل لك ثروة ضخمة ومع ذلك فأنت تكتفى بالتطلع إليها كل صباح وتعيش فى هذا الفقر المرير !! وصرف الرجل الشيك؛ وعاش بقية حياته فى راحة ورغد واستقرار .

فهل تكتفى بأن تعلق صليباً فى بيتك ، أو على صدرك ، وتعيش حياة الخطية ، والفتور . والجفاف وتموت دون أن تتمتع بما لك من حقوق فى الصليب !! أو تسرع إلى الله وتنال غفرانه بالتوبة والإيمان بعمل الفداء العجيب ؟! إن الصليب هو الحد الفاصل بين الهالكين والمفذيين ، فعلى أى جانب أنت ؟!

كلمة ختامية

بقيت كلمة أخيرة يجب أن نقولها : هى أن الصليب لم يكن خاتمة حياة المسيح ، لأن ذاك الذى مات على الصليب ، قام ظافراً منتصراً فى فجر الأحد ، وظهر بعد قيامته لأكثر من خمسمئة أخ ، ثم صعد بعدئذ إلى السماء وسكب على تلاميذه الروح القدس .

لكن الصليب قد غيركل شئ ، فمشهد العصيان والطرد والمذلة الذى رأيناه فى سفر التكوين سيتبدل إلى مجد لا يزول ، وذاك الذى صلبتـه الخطيـة على الصليب نراه مكللاً بالمجـد والكرامة مع جمهور المفديين !!

وهذا هو المنظر الختامى لسفر الرؤيا سجله يوحنا بالكلمات «وأرانى نهراً صافياً من ماء حياة لامعاً كبلور خارجاً من عرش الله والخروف فى وسط سوقها وعلى النهر من هنا ومن هناك شجرة حياة تصنع اثنتى عشرة ثمرة وتعطى كل شهر ثمرها . وورق الشجرة لشفاء الأمم . ولا تكون لعنة ما فى مابعد . وعرش الله والخروف يكون فيها وعبيده يخدمونه وهم سينظرون وجهه واسمه على جباههم . ولا يكون ليل هناك ولا يحتاجون إلى سراج أو نور شمس لأن الرب الإله ينير عليهم وهم سيملكون إلى أبد الأبدين » رؤ ٢٢ : ١ – ٥ .

لكن أين سيكون هذا المشهد الرائع الجميل ؟ إنه سيكون فى مدينة الله الحى التى وصفها يوحنا قائلاً ، وكان بناء سورها من يشب والمدينة ذهب نقى شبه زجاج نقى وأساسات سور المدينة مزينة بكل حجر كريم . الأساس الأول يشب . الثانى ياقوت أزرق. الثالث عقيق أبيض .الرابع زمرد ذبابى . الخامس جزع عقيقى . السادس عقيق أحمر . السابع زبرجد . الثامن زمرد سلقى . التاسع ياقوت أصفر .العاشر عقيق أخضر . الحادى عشر أسمانجونى الثانى عشر جمشت ، الاثنا عشر بابا اثنتا عشرة لؤلؤة كل واحد من الأبواب كان من لؤلؤة واحدة وسوق المدينة ذهب نقى كزجاج شفاف ، رؤ ٢١ : ١٨ -٢١ .

إذا فقد زالت اللعنة ، وزال التعب والجهاد ،وزال الحزن والكمد ، وانتهى الوجع والصراخ ، وابتلع الموت إلى غلبة وصدحت موسيقى السرور فى أرجاء المدينة الذهبية ذات الأبواب اللؤلؤية !!

أما إبليس أصل الشر والتمرد والعصيان فنقرأ عنه ، وإبليس الذى كان يضلهم طرح فى بحيرة النار والكبريت حيث الوحش والنبى الكذاب وسيعذبون نهاراً وليلاً إلى أبد الآبدين ، رؤ ٢٠ : ١٠.

وهكذا يتم برنامج الله الذى قصده للإنسان ، فى كمال وإتقان !! فيحق لنا أن نقول مع يوحنا التلميذ الحبيب ، انظروا أية

محبة أعطانا الآب حتى ندعى أولاد الله ... أيها الأحباء الآن نحن أولاد الله ولم يظهر بعد ماذا سنكون ، ولكن نعلم أنه إذا أظهر نكون مثله لأننا سنراه كما هو، ١ يو٣ : ١ ، ٢ .

هذا المجد الفائق ، وهذه الامتيازات العظمى ، وهذه البركات الثمينة التى تنتظر المؤمنين الحقيقيين المغسولين بالدم ، قد صارت لنا عن طريق الفداء الذى أتمه مخلصنا على الصليب.

لذلك يحق لنا عن يقين أن نفتخر بالصليب ، بل يحق لنا أن نردد النشيد ونعيد :

قد فديتنى وامتلكتنى	يا مخلصى المجيد
إنما أنا بنيتى هنا	أن إيمانى يزيد
اجذبنى يا رب للصليب	اجذبنى أيا حنون
اجذبنى اليك أيها الحبيب	إلى جنبك المطعون

محتويات الكتاب

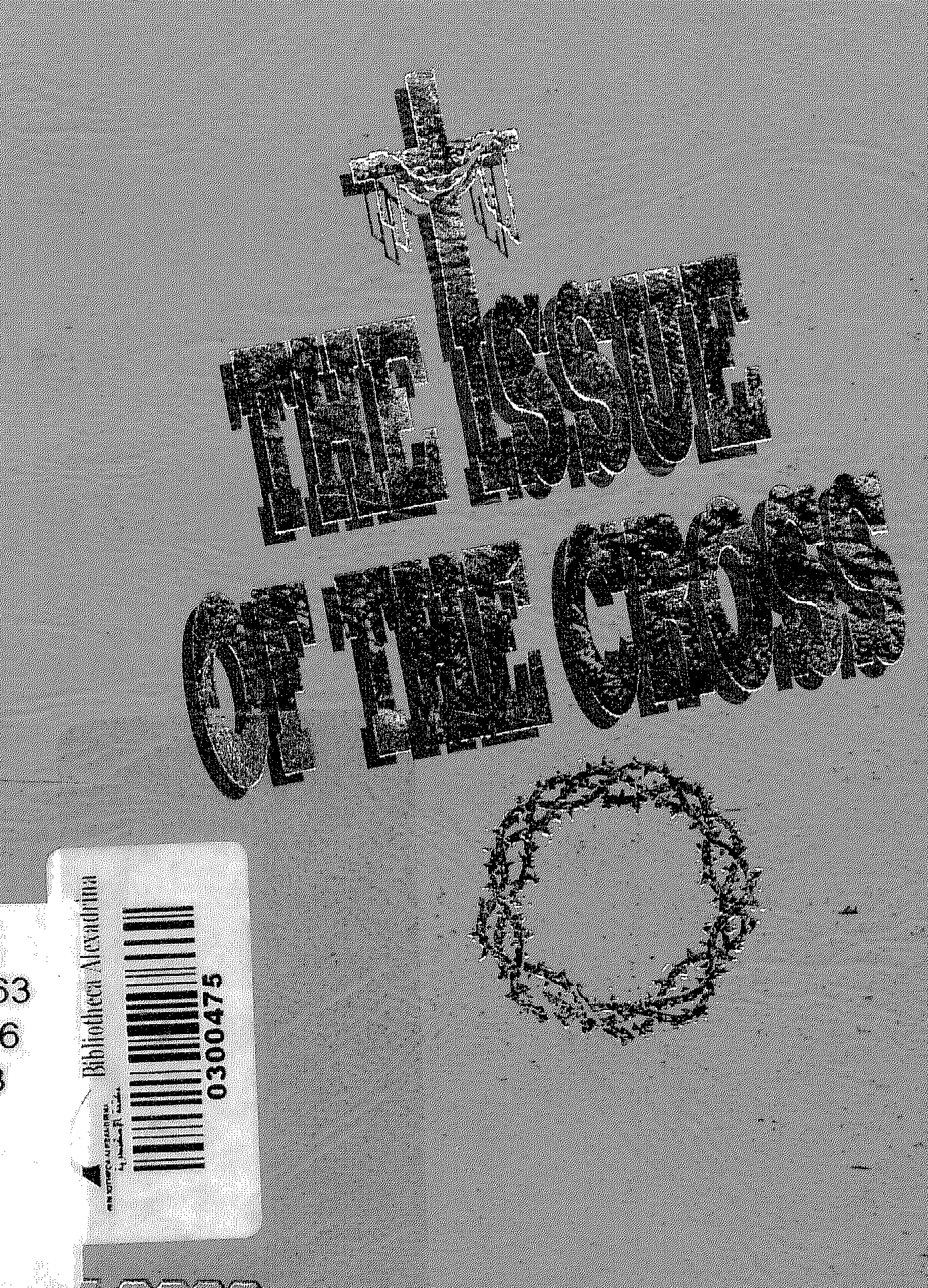
جمع تصويري / أخراج فني / طباعة

لوجوس برنت سنتر

ص.ب ٢٤٥٥ الحرية - هليوبوليس

رقم الأيداع : ٣٣٧٩/٩٤

الترقيم الدولى : I.S.B.N 977-00- 3740 - 5



LOGOS

BY
Dr: Labib Mikhail